جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

القضايا الأدبية فى كتاب الكامل للمبرد
دراسة تحليلية نقدية

إعداد
د/ سحر رزق عامر
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
الكلية الجامعية بفرسان

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

القضايا الأدبية فى كتاب الكامل للمبرد
دراسة تحليلية نقدية.

سحر رزق عبد العظيم عامر.
قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بفرسان، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: sabdulalazeem@gmail.com

الملخص:
لكل عصر ثقافته وفنونه، ومعارفه وعلومه، وقد اتسم العصر العباسي بالاطلاع على الثقافات المتنوعة، والانتهال من المعارف المختلفة لدخول أصحاب حضارت وثقافات مغايرة للإسلام فأخذوا منه وأضافوا إليه. وقد اتسمت العقلية العربية بجذور مستنيرة لمتداد إرثها الثقافي لعمق أبدع المعلقات الفريدة وجود النثر المميز، وقيد الله شخصيات أخذت بالعزم، ولمت ما استطاعت من المعارف ونقبت عنها بالحزم فأبدعت أسفارًا فاضت علومًا، وورقات فاحت معارفًا... فظهر رواد أبدعوا في شتى المجالات وفي مختلف النواحى منهم من لمّض بالثقافات المختلفة ومنهم من اعتكف على المعارف والعلوم العربية فهماً واستيعابًا، وعيًا وادراكًا مثل المبرد؛ الذى صرف جهده لتحصيل العلوم العربية وإعادة بثها ممهورًا بخصيب فكره وثقابة رؤيته، وكان ذلك في مؤلفاته عامة وفي كامله خاصة الذى عُد من عيون المؤلفات العربية وأساسها وقد صارت خطة البحث كالأتى، توطئة: أضواء على حياة المبرد، الفصل الأول الثقافة العربية في قضايا الكامل، البلاغة – التشبيه – الأساليب العربية، الحكمة، الفصل الثانى تحليل بعض القضايا وطريقة الطرح، الخاتمة، أهم النتائج، أهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الثقافة العربية، المبرد، كتاب الكامل، التحليل، العرض.

Literary issues in Al-Kamil Al-Malbarad's book Critical analytical study.

Sahar Rizk Abdel Azim Amer.
Department of Arabic Language, Farasan University College, Jazan University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: sabdulalazeem@gmail.com

Abstract:
Every era has its own culture, arts, knowledge, and sciences. The Abbasid era was characterized by exposure to diverse cultures, and the exploitation of various knowledge by the entry of people of civilizations and cultures other than Islam, who took from it and added to it. The Arab mentality was characterized by enlightened roots due to the extension of its cultural heritage to the depth of the creativity of the unique commentators and the presence of distinctive prose. God created personalities who took determination, gathered what knowledge they could and dug up it with determination, creating books that overflowed with knowledge, and papers that revealed knowledge... so pioneers emerged who were creative in various fields and in various fields. Some of them are those who have become acquainted with different cultures, and some of them have devoted themselves to Arabic knowledge and sciences in terms of understanding, absorption, awareness and awareness, such as Al-Mubarrad. Who devoted his effort to collecting Arabic sciences and redistributing them, full of the fertility of his thought and the insight of his vision, and this was in his writings in general and in his entire collection in particular, which was considered one of the foundations and foundations of Arabic writings. The research plan became as follows Introduction: Highlights on the life of Al-Mubarrad, the first chapter, Arab culture in the issues of Al-Kamil, rhetoric - simile - Arabic methods, wisdom, the second chapter, analysis of some issues and the method of presentation, the conclusion, the most important results, the most important sources and references.

Keywords: Arab culture, Al-Mubarred, Al-Kamil book, analysis, presentation.

المـــــقدمـــــة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى أشـرف الخلـق وسـيد المرسلين سيدنا محمد المعلم الأول للبشرية من علمها دينها ، وهذب أخلاقها، وبوأها السيادة؛ مادمت على المحجة البيضاء.

لكل عصر ثقافته وفنونه ، ومعارفه وعلومه، وقد اتسم العصر العباسى بـالاطلاع علـى الثقافـات المتنوعـة ، والانتهـال مـن المعـارف المختلفـة لـدخول أصحاب حضارت وثقافات مغايرة للإسلام فأخذوا منه وأضافوا إليه. وقد اتسمت العقلية العربية بجذور مستنيرة لامتداد إرثها الثقافي لعمق أبدع المعلقات الفريدة وجود النثر المميز، وقيد الله شخصيات أخذت بالعزم ، ولمت ما استطاعت من المعارف ونقبت عنها بـالحزم ؛ فأبدعت أسفارًا فاضت علومًا، وورقات فاحت معارفًٍ... فظهر رواد أبدعوا فى شتى المجالات وفى مختلف النواحى منهم من لـمّ بالثقافات المختلفة، ومنهم من اعتكف على المعارف والعلوم العربية فهماً واستيعابًا، وعيًا وادراكًا مثل المبرد؛ الذى صرف جهده لتحصيل العلوم العربية وإعادة بثها ممهورًا بخصيب فكره وثقابة رؤيته ، وكان ذلك فى مؤلفاته عامة وفى كامله خاصة الذى عُد من عيون المؤلفات العربية واساسها .. والكامل على أهميته قد تناولته كثير من الأقلام بالبحث والتحليل والشرح والتوضيح .. ولكنى وجدت أنه لازالت هناك زوايا وموضوعات لم تتناول بعد بالشكل الذى ينفع الباحثين ، ويسد فجوة فى الدراسات العربية ؛آلا وهى صبغة الكتاب بالصبغة العربية الأصيلة المولدة من ثقافة المبرد التى تشبع بها فالمبرد وإن كان متعدد الثقافة متشعب المعلومات إلا إن الثقافة العربية كانت الحدقة التى تنظر من خلالها لتلك المعلومات وتنفد الإتجاهات والآراء من رؤيتها مستظلاً بظلها مما جعله عمادًا من أعمدة الثقافة العربية الأصيلة فكثير من القضايا الواردة فيه وردت قبله فى مؤلفات لكن تناوله لها بالإسلوب العربي الرصين إضافة إلى المستجدات المعرفية من أمثله واستدلالات صبغها بصبغة مميزة ،وتعد منهجية

المبرد العربية الأصيلة هى عمود البحث وأساسه ، وقد تم طرح ذلك من خلال المنهج الشمولى التكاملى إذ استعنت بالمناهج المختلفة وقرنتها – إذا احتاج الأمر – برأيى ووجهة نظرى فى القضية المطروحة ، وقد سبقه عدة دراسات منها قضاياالنقد الأدبي فى كتاب الكامل للمبردعمر بن طرية ، المصطلح والشاهد البلاغى فى كتاب الكامل للمبرد، دراسة فى البحث البلاغى، د عبد العزيز بن صالح الدعيلج ٢٠٢٠،مجلة العلوم العربية ، وغيرها من الأعمال التى تناولت الخوارج أو نجد فى الكتاب ، أو عرضت للكتاب وصفا .

وقد صارت خطة البحث كالأتى

تمهيـــد : المبرد ثقافته ةآثاره

المبحث الأول : قضايا علوم البلاغة فى كتاب الكامل

المبحث الثانى : قضايا النقد الأدبي فى كتاب الكامل

المبحث الثالث : منهج المبرد فى مقاربة النص الأدبي

الخاتمة

أهم النتائج – أهم المصادر والمراجع

تمهيد

المبرد ثقافته وآثاره

.. المبرد(٢١٠-٢٨٦) محمد بن يزيدبن عبد الأكبر الثمالي الأزدى ، كنيته أبو العباسن

توفي فى بغداد فى خلافة المعتضد عام ٢٨٥ وكان واسع الثقافة وبدت تلك الثقافة في أنه (لم يترك موضوعاَ نقديًا إلا نبه عليه ، ويمتاز هذا التيار بالاهتمام بالصور البيانية ، لم يك ذلك منه لمجرد الذوق ، ولكن المنهجية التى فرضتها استمالت الناس)[١] إلا من التزم بعمود الشعر. وقد أكثر من الحديث في المسائل البلاغية . ينتمى للمدرسة البصرية، إذ تتلمذ على يد صفوة علمائها آنذاك السجستانى وسيبويه والمازنى عاش ومات فى بغداد ونال منزلة عظمى ومكانة رفيعة وعُدَّ " حجة وثبتًا فى أمور اللغة " [٢] ، وقد كثرت مطالعاته وتشعبت معارفه ؛فتجه إلى تأليف الكتب فألف ما ربى على أربعين مؤلفًا تنوعت موضوعاتها بين اللغة والأدب ، النوادر ، والتاريخ والقرآن الكريم ، واللغويات .. من أشهرها " المذكر والمؤنث، المقتضب، التعازى والمراثي ، المقرب والروضة – فى ثلاث دفاتر– اسماء الدواهى عند العرب ،طبقات النحاة البصريين وأخبارهم ، الاشتقاق والأنواء ، الكامل فى اللغة والأدب والتاريخ وغيرها من المؤلفات الملىء بغزير المعارف ، وعديد العلوم ، قال فيه ابن الرومي

طرقت أسماء والركب هجود والمطايا جنح الأذواد قود

طرقتنا ،فأنالت نائلًا شكره لو كان فى النية الجحود

---

١ – **النقد عند العرب أصوله قضاياه صـ٢٦٤ د/ حفني محمد شرف – مكتبة الشباب .**

٢ – مناهج التأليف عند العرب العلماء العرب ١٥٨ وما بعدها – بتصرف – د مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط ،١٥

ولغزارة علمه تتلمذ على يديه علماء نالوا شهرة واسعة مثل: الأخفش ، محمد بن جعفر الصيدلانى ، قال عنه بن جنى " جبلا فى العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذى نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها"

وهو يعد [١] إمام نحاة البصرة فى عصره وإليه انتهي علم العربية ... بين طبقة الجرمي والمازني ؛ ولد بالبصرة سنه ٢١٠ هـ وطلب العلم صغيراً وتلقى على أعلام البصرة النحو واللغة والتصريف ، فأخذ عن المازنى والجرمي وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، وأخذ عن أبي حاتم السجستانى ونبغ واشتهر أمره بإقراء كتاب سيبويه وهو غلام، فقد روى أن شابا من أهل نيسابور أتي أبا حاتم السجستاني ، فقال له يا أبا حاتم إني قدمت بلدك – وهو بلد العلم والعلماء وأنت شيخ هذه المدينة ، وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه، فقال: الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع مما تقرأ فاقرأ على هذا الغلام محمد بن يزيد وكان يقول لمن يريد أن يقرأ عليه الكتاب .

هل ركبت البحر تعظيماً له واستصعاباً لما فيه

وظل بالبصرة حتى سنه ٢٤٦ ففى هذه السنة ورد مدينة سُرّ مَنْ رَأَيَ بطلب من الخليفة المتوكل فحضر مجلسه ونال عطاياه ، ولما قتل المتوكل سنه ٢٤١ رحل إلى بغداد ، واتصل بالأمير محمد بن عبد الله الطاهر، فأكرمه وسبب له أرزاقاً ، على عمال مصر وكانت أرزاق الندامى تجرى عليهم من هناك . وتوفى ببغداد سنه ٢٨٥هـ ودفن بمقبرة باب الكوفة فى دار اشتريت له . اختلفوا فى سبب تسميته المبرد وهل الراء مفتوحة أم مكسورة ... وسنة ولادته ووفاته .

١ – عن كتاب الكامل ت . محمد أحمد الدالى – مؤسسة الرسالة ط٢ سنه ١٩٩٣ ، وكتاب دراسات في نقد الأدب العربي ٢٣٣ بتصرف

قال ابن جني : يعد جبلاً فى العلم وإليه أفضت مقالات أصحابنا ،وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل ، والمقاييس عليها .

وقال الأزهري : كان أعلم الناس بمذاهب البصريين فى النحو ومقاييسه . قال أبو بكر بن مجاهد : ما رأيت أحسن جواباً من المبرد فى معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ، ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب وكان بين المبرد وأبى العباس ثعلب ما يكون بين المتعاصرين من المنافسة والمنافرة ، أوردت المصادر طرفاً من ذلك وما قيل فيه ، ولكل منهما شعراء ينتصرون لصاحبهم ، وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب للمناظرة ، وثعلب يكره ذلك وسئل أبو عبد الله الدينوري ختن ثعلب : لم يأب ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال لأن المبرد حسن العبارة ، حلو الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان ،وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن . وقال الإمام الأزهري وهو يفاضل بين ثعلب والمبرد؛ كان محمد بن يزيد أعذب الرجلين بياناً واحفظهما للشعر المحدث ، والنادرة الطريفة، والأخبار الفصيحة، وكان أعلم الناس بمذاهب البصريين فى النحو والقياس[1] .وقد توجه تلقاء العلوم العربية فعكف على دراستها وفهمها واستيعابها فحصلها بيسر وسهولة إذ كان لغويًا أريبًا ؛ قال عنه الزبيدي في معجم الشعراء [2] لم يكن أبو العباس محمد بن يزيد على رئاسته وتفرده بمذهب أصحابه وإربائه عليهم بفطنته وصحة قريحته ، متخلفاً فى قول الشعر، وكان لا ينخل ذلك ولا يعزى إليه ولا يرسم نفسه به وله أشعار كثيرة . وقد أتاح له إطلاعه الواسع على مختلف

١ – تهذب اللغة للأزهري صـ ٤٣جـ ١ ط دار الكتب العلمية .

٢– معجم الشعراء للمرزباني صـ ٤٠٥ – ٤٠٦ تحقيق فاروق أسليم ، عبدالستار فراج –ط دار صادر ط١ ٢٠٠٥ م .

مناحي الثقافة العربية من لغة وشعر ونثر ، وأخبار ، وصرف ، وعروض أن يصنف عدداً من المصنفات فى هذه الفنون بيد أن كثيراً منها لم ينته إلينا

منها احتجاج القرآن – الاختبار – أدب الجليس – أسماء الدواهي عند العرب – إعراب القرآن وغيرها .

فا**لمبرد** (رجلاً خصب القريحة لا يعيبه الموضوع ، ولا يثقل عليه المحتوى أيًا كان نوعه)[١]

(لا يستطيع أحد إنكار فضله في تاريخ النقد العربي ووضع أصوله ، فلم ينس المفاضلة بين الشعراء ، ولا الطبع والتكلف ولا الألفاظ والمعاني ولا العاطفة ، ولا أولية الشعر والتوليد فيه ، ولكنه تجنب الولوج إلى مقياس موضوعي عام ، وعباراته في وصف مذاهب الشعراء عبارات أدبية) [٢]

وقد أحاط بالمعارف المنتشرة آنذاك ، وألمَّ بالثقافة العربية الأصيلة ،مما أمده بزاد وافر من الطرف المنوعة التى تنثال على يراعه حين كتاباته.

عرف أسلوبه بإيقاعاته ، وقصر عباراته ، واستطراداته ، مع روح ساخرة سخرت من كل أشكال القبح فى عصره حسياً كان أو معنوياً ، وأوتى مقدرة بيانية مكنته من مدح الشيء وذمه .برصد مزاياه وحشد عيوبه .وقد أشار إلى منهجه الذى التزمه فى الكتاب حين قال " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبًا من آداب ، ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر وموعظة بليغة ، والنية أن نفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحًا وافيًا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيًا ، وعن أن يرجع إلى أحد فى تفسيره مستغنيًا [٣]

---

١ تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٨٥ – د / إحسان عباس– ط دار الشروق ١٩٩٣ .

٢ النقد الأدبي عند العرب أصوله قضاياه تاريخه صـ٢٩٦ .

٣ الكامل ، ط ٣، ١٩٩٧ المقدمة

والمبرد من مؤسسى الدرس البلاغي ، بما عالجه من موضوعاته ، وأرساه من مصطلحاته . وقد ترك المبرد مكتبة ضخمة من الكتب، والرسائل. الوثيقة الصلة بالدين " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، "وعده بن خلدون "واحدا من أربعة كتب كبار لا غنى لطالب المعرفة والثقافة عند قراءتها "[1]

وقد تعرض المبرد لكثير من القضايا والعديد من الموضوعات منها ما سرده شرحاً ،وتفصيلاً، ومنها ما اكتفي بالإشارة لها دون ذكر التفاصيل ، واحتل القرآن الكريم الصدارة فى الشواهد على اختلاف أنواعها اللغوية والنحوية ، إضافة إلى وجود أحاديث نبوية شريفة استخدمت شواهد فى موضوعات منوعة ، وأثبت إنها صحيحة الإسناد ، ومن قضايا كتاب الكامل: اللفظ والمعنى ، التعظيم من الصياغة ، قضية البلاغة ، الصدق اللغوي ، الخطبة ، نماذج من الوصايا والرسائل ،و قد أكثر من إيراد الأمثال وقام بتوضيح موردها ومضربها ، وكثَّف إيراد الأحداث التاريخية من العصر الجاهلى إلى عصره ، وذكر شخصيات حكيمة وشاعره قواد وسوقة ، وللشعر والشعراء الحظ الوافرمن الاهتمام قديمهم ومحدثهم إضافة إلى غيرها من الموضوعات

وللكامل أهمية عظمى **إذ** حدد المبرد في صدر كامله هدفه من تأليفه إذ أراد أن يضم فيه ضروبًا من الشعر والنثر يقوم بشرحها وبيان إعرابها ، وشرح ما يتعلق بها فلا يحتاج أحد إلي تفسير ما جاء فيها أو تبيانه لكنه انتصر للقديم وشغف به وجعله القاعدة ، وهو في نقده قد يميل إلي تكوين صوتي أيضًا إذ

١ دراسة فى مصادر الأدب ، د الطاهر أحمد مكي ،صـ١٥٩ ، دار الفكر العربي ،١٩٩٩،

يأتي نقده في عبارات قصيرة مركزة يقول : (ومما يُفضل لتخلصه من التكلف ، وسلامته من التزيد ، وبعده من الإنتقال قول أبي حية النميري [١]

وقد حظي بتقدير أدباء ونقاد عصره وزاحم الكتب المهمة المنضوية على غزير نفع وعظيم فائدة ، حتى قيل أصول الأدب وأركانه أربع دواوين :

أدب الكاتب ابن قتيبه – الكامل للمبرد – البيان والتبين للجاحظ – النوادر لأبي على القالي وغيرها توابع لها .

ولقد قدم له المبرد قائلاً " هذا الكتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة " وهذا كتاب بليغ وإذا كانت البلاغة " القول السديد المعجب الذى ينصر صاحبه فى الأزمات ويأخذ بيده فى سائر الأحوال والمقامات ، فإن الادب هو مجال القول ، وموطن الكلام الذى به يرتفع الانسان، وينصت له أو يوضع ويشاح عنه " [٢] تلقى العلم عن طريق مجموعة من أئمة العلم فى مصر منهم : أبان بن رزين البصرى – إبراهيم بن محمد التيمى – أحمدبن طيفور – القاضي إسماعيل بن اسحاق – التوزى أبو محمد عبد الله بن محمد – الجاحظ أبو عثمان بن بحر – الرياشى أبو الفضل العباس بن الفرج .. وغيرهم .. وأخذ عنه العلم كثير من العلماء منهم :

إبراهيم بن محمد بن العلاء الكلايزى ... أحمد بن جعفر الدينوري ختن ثعلب ... أبو أحمد الجريرى .. الأخفش وهو راوية كتاب الكامل وله عليه تعليق.. ابن أبي الأزهر محمد بن زيد .

---

١ .... الكامل ج١ صـ٣٠

٢) سوانح وآراء فى الأدب والأدباء د / بدوى طبانه ، صـ ٢٨٧ ، الشركة المصرية العالمية للطباعة والنشر ١٩٩٧ .

وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقة فيما ينقله إماماً فى العربية ،غزير الحفظ والمادة ، صاحب نوادر وطرافة ، وقد تبوأ مكانة عظمى بين أئمة العرب.

قال عنه مستمليه "ابن أبي الأزهر": كان من العلم، وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة وجودة الخط ، وصحة القريحة ،وقرب الإفهام، ووضوح الشرح ،وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدم أو تأخر.

المبحث الأول :

قضايا علوم البلاغة فى كتاب الكـــامـــل

الكامل في اللغة والتاريخ والأدب :نال شهرة كبيرة ويكاد يصل لحد الإكتمال فى مجاله والموضوعات المنتخبة فى فترة عصر المبرد .. إذ حاز المبرد ثقافة لغوية عربية أصيلة انسابت وسيطرت على كامله ، وقد حظى الكامل بنصيب كبير من مسماه إذ حوى كثير من التخصصات ، وتشعب في إثبات عدة مجالات : في اللغة والتاريخ والأدب ، فقد تحدث عن قضايا اللفظ والمعنى ؛ لكن سبب الاستحسان تشعب لديه فقد يكون الشعر جيدًا لشيوع معناه بين الناس، أو جزالة لفظه ، وصحة معناه، أو لسهولته أو لغرابته ، ولم يتوسع في إعطاء مبررات أو ضرورات تكفل مخالفة القواعد ، وقد وقف موقفًا توفيقيًا ، فقد قبل شعر المحدثين كقبوله لشعر القدامى قائلا(هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثيل – لأنها أشكل بالدهر وسيق من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب"[١] ولا شك أن ثقافته اللغوية ، النحوية التليدة، جعلته يهتم بالكُتَّاب ، ويربي فيهم ملكة التذوق الناتجة عن دراسة الشعر الجيد سواء أ كان قديم أو حديث ، وقد حث على تنحية الزمان أيضأ – كالجاحظ– فهو ليس حكم بين المبدعين (وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق " [٢] وحينما تكلم عن السرقات تكلم عنها خالطًا بين الشعر والنثر والخطابة ، أو يثبت شواهد نثرًا قد يقرنها بالتفسير والتوضيح وقد يكتفى بمجرد إثبات الأبيات ، ولا شك أن تحديده لهدف الكتاب في صدره أبان عنه ،

---

١ الكامل ج ٢ صـ١

٢ الكامل ج٢ صـ ٧٩

وهو في نقده قد يميل إلى تلوين صوتى أيضاً إذ يأتي نقده في عبارات قصيرة مركزة يقول " ومما يفضل لتخلصه من التكلف ، وسلامته من التزيد، وبعده من الاستثقال قول أبو حية النميري ..) [1] وكلامه في السرقات إذ يرجعها للشعر أو للنثر ككلامه عن أبي العتاهية ، وقد أجاد واستفاض في الحديث عن التشبيه وبين أنواعه ، وقال إنه جاء بكثرة في كلام العرب ولو قال قائل (هو أكثر كلامهم لم يبعد)، فالمبرد قد عالج بعض القضايا الفنية ، وأثبت ما يراه من أصول أدبية لكن نظرًا لأنه اتخذ منهجًا تعليميًا (لا يسأل المتلقي عن معنى ورد في الكتاب) فقد قام بخطوات نقدية محمودة .. عرض النص، توضيحه، تحليله، تقسيم عناصره ، كما زخر الكامل بالنقد الموضوعي وهو (مذهب من مذاهب النقد المعترف بها ويمكن أن يسمى النقد التفسيري، أو النقد التوضيحي) إذ عرض الكتاب عمل الأديب ثم تناوله بالشرح والتوضيح ، ثم وازن بين هذا الإبداع وإبداع أخر، في نفس المجال ، ولكن : افتقد الكتاب المنهج العلمي المرتب الخطوات المتسلسل في سرد الجزئيات بعد الحصر، ثم التنظيم، والتقسيم، واستنباط القواعد الثابتة والقواعد المتغيرة " الاستثناء–والأقوال الضعيفة " كما سيطر الاستطراد مما هرَّأ نسيجه، وفك عرى سدته ولحمته، فصعب تقصي ما ورد فيه من نظرات صائبة (وهذا ما جعل إحصاء تلك الآراء صعبًا والإفادة مما تحتوي عسيرة) – على حد قول د بدوي طبانة –[2] ورأى البعض [3] إن الكتاب كتاب رواية إذ كثر فيه الأقوال المروية نسبة إلي غيرها من المواد فهو فيه (كثير من الشرح والتحليل ، كثير من النقد والموازنة ، وقليل من الكلام في عناصر الأدب ، والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية) وفي مكان

١ – الكامل ج١ صـ ٣٠

٢ دراسات في نقد الأدب العربي صـ ٢٤٤

٣ البيان العربي صـ ١٠٥

أخر ..(وفيه كذلك كثير من النقد الأدبي الذي يدل على ملكة المبرد وذوقه الأدبي ، وتنبه حاسته الفنية ، ولمحه أخذ المعاني وسرقتها ،ومحاولة إخفائها ،) والنقد المنتشر في الكامل قد يوصف بالطريف وقد يكون تليدًا ؛ يقتفي فيه المبرد أثر القدامى لكنه اعتمد منهجًا جيدًا من تقسيم الأدب والأدباء ، ويرى حتمية اتساع نظرة الناقد وعدم تسليطها على المسالب الجزئية ، بل إرجاعها ولمها للجزئيات ، والنظرة العامة للعمل – على حد قول د حنفي شرف [١] ولا شك أن الكتاب أصداء للثقافات المختلفة التى تزاحم وجودها في تلك الفترة .

ولم يوضح المبرد المنهج الذي سيتبعه فى الكتاب فى المقدمة الموجزة التى قدم بها لكتابه فى صدر الكتاب ، إذ أشار المبرد إلى مادة كتابه وتنوعها " ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بليغة ، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة " ولم يزد فيوضح العصر الذي سيلقي الضوء عليه بكثافة أكثر من الآخر ، أو الشعراء والكتاب ممن سيورد أقوالهم أكثر من غيرهم ، أو الحوادث والأحداث اجتماعية ، سياسية ، دينية ، سيركز عليها فلم يشر لذلك كله واكتفي بإيضاح هدفه " أن نفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معني مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً .... " دون أن يزيد على ذلك . فالناظر في كتاب يجد صعوبة في تحديد منهجه فرغمًا عن قدمه ، إذ يعد من أقدم الكتب التى تناولت الموضوعات الأدبية والنقدية، وما يمت إليها من قول أو عمل : بلاغة ؛ لغة؛ تاريخ ، أو طرائف ألقيت فيه ، وقد قدر أهل عصره مكانته ، وبوأوه منزلته، قال القاضى أبو الفرج المعافي ين زكريا بن يحى النهروانى عنه " عمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذى أسماه " الكامل" وضمنه أخبارًا وقصصًا لا إسناد لكثير منها ،

١ النقد الأدبي عند العرب ٣٠٤ بتصرف

أودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتى مثله ، لسعة علمه، وقوة فهمه ، ولطيف فكرته ، وصفاء قريحته، ومن جلى النحو والإعراب وغامضهما ما يقل وجود من يسد فيه مسده "[1]

تلك المعارف وهذه الفنون ؛ بلا تنظيم أو تبويب فقد يضم الإلف إلي إلفه وقد نجد كل منهما في مكان متباعد من الأخر . ويكثر من إيراد الملح والنكت والطرفات .. ترويحًا وجذبًا للمتلقى ، وإبعادًا للملل والسأمة .يقول : خبرت أنَّ أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يُطلق له أن يُهدى إلي أمير المؤمنين المهدي فى النيروز والمهرجان ، فأهدى لإى أحدهما بَرْنية ضخمة فيها ثوب ناعم مُطيَّب قد كتب فى حواشيه

نفسي بشيء من الدنيا معلقةٌ الله والقائم المهدي يكفيها

إنى لأييئس منها ثم يُطمعنى فيها احتقارك للدنيا بما فيها

فهم بدفع عتبة إليه .. فجزعت، وقالت يا أمير المؤمنين أبعد حُرمتى وخدمت تدفعنى إلى رجل قبيح المنظر ، بائع جرار ، ومتكسب بالعشق !! فأعفاها ، وقال املئوا له هذه البرينة مالاً ، فقال للكتاب : أمر لي بدنانير ، فقالوا ما ندفع ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة : لو كان عاشقًا كما يزعم لم يكن يختلف حولٍ فى التمييز بين الدراهم والدنانير . وقد أعرض عن ذكرى صفحًا "

والكتاب يفتقد المنهج العلمي من حصر الموضوع ، وعرض أجزاءه ، وتسليط الضوء على كل جزئية حتى تستوفى ذلك غاب عن الكتاب ، ولعل ذلك يرجع إلي شخصية المبرد؛ فهو موسوعي الثقافة موفور المعرفة ، ما يكاد يعرض لموضوع ما حتى تنثال عليه المعارف والمعلومات؛ فيثبتها كيفما اتفق

١ دراسة فى مصادر الأدب صـ ١٦٠ د الطاهر أحمد مكي

بلا تنظيم أو استيفاء ، بل يغلب عليه الاستطراد ؛ وقد عد البعض ذلك ميزة لأعماله

(تمتاز كتبه كذلك بتنوع الموضوع والاستطراد والخروج من معنى إلي أخر في كثير من التشوق والإمتاع وإن بدا في نظر بعض المعاصرين تشعيثًا في الأفكار واضطرابًا في المنهج) والكتاب من عنوانه (الكامل فى اللغة والأدب والتاريخ) يوحى بالموضوعات المجموعة بين دفتيه .. لغوية وأدبية وتاريخية ... ثم القارىء يكتشف تباعا إنه ضم إليها كل الموضوعات ذات الصلة وعرضت بإسلوب مباشر واضح فتتكون (على أية حال رياض للنفوس ، وواحات للعقول تستجم بها وتتزود بعديد من المعارف وفيها رياضة للفكر فيما يشغل بال الناس في عصره من قضايا سياسية وعقدية ودينية أو اجتماعية أو أدبية)[١]

وهو في كامله قد يعرض لجزئية ثم ينطلق لأخرى ، ويعقب بثالثة ، ثم يعاود إلى جزئيته الأولى ، يقف وراء ذلك ثقافة معرفية ومخزون شعرى مُؤَبِد، إذ يؤيد كلامه بما يعلم من أخبار وأشعار وأحداث ، لذا زخر الكتاب (بفنون القول من الرسائل والخطب والأشعار والأخبار ، وأبان عن رأيه فيها ، وما قيده مما يحفظ ويروى من أقوال الرواة والمحدثين ،) [٢]

والكتاب أبان عن شخصية كاتبه الذى يطير من زهرة ثم يحط على زهرة أخرى. فرحابة عقله ، وعظم خبرته ،واتساع ثقافته ، دفعت الأفكار لتتزاحم على قلمه إبَّان ثبت مُؤَلفه فأثبت ماجال بفكره واستدعاه عقله في كل جزئية ، وقد إزدان كتابه بآراء النقاد والأدباء ، وعلماء اللغة ، والرواية ، فأُثري بكثير من الآراء و الأفكار .

---

١ **دراسات في الأدب العربي العصر العباسي** ، دمحمد زغلول سلام منشأة المعارف ، **صـ ٤٥٦**

٢ **دراسات في نقد الأدب العربي – د بدوي طبانة – صـ ١٧٨**

وقد تحدث في بيان " الأدب" الأسباب التى علت به وما حواه من عناصر جمالية ، أو ما أوهنه من عوائق هبطت به ؛ فسربت إعجاب المتلقين ، وأفقدته اللذة الفنية، أو القيادة الجماهيرية أو توجيهه نحو ما يريد . وكما تحدث عن الأدب المنُشأ تحدث عن الأديب المُنشِىء : صفاته الشخصية ، وكيف اثرت على مجاله الإبداعي

١. انتصر المبرد للفصاحة العربية وهذا انتصار ينضوي على التفضيل بين الوسائل الأدائية أو التعبيرية ، فإذا كان العلماء والفلاسفة يولدون المعاني ويبتكرونها ؛ فإن ميدان الآداء والتعبير عنها بإجادة رسالة الأدباء إذ تظهر ثقافتهم اللغوية وقدرتهم التعبيرية ، فالمتلقي يسمع الإبداع وكأنه يسمعه لأول مرة ، ورغم حرصه على فصاحة عرضه إلا أنه التزم المنهج النبوي وفر من سجع الجاهلية ، وكره التشادق . وعنى بإبراز المعنى ، فرسالة المبدع هى التى تضفي على المتحَدث عنه الجمال والفنية وإن خلا منهما ، ولا شك أن المعنى له تأثير كبير في إضفاء الجمال على العبارة .

فالمعنى المنتخب يتم وفق ثقافة الكاتب ، تلك الثقافة التي كونت من انتمائه البيئي ، ومواهبه الخاصة – الغريزة – التي قادته إلي امتلاك ملكات قوية أو وهنة . . ""وقدتأثر غير واحد ببراعته عربي أزدى يمانى ثقافته عربية خالصة ورغم إلتحاق الجاحظ به وإصابته كثير من الشهرة إلى أن عربية ثقافته أضفت عليه نوعًا من الفرادة ، فألف محمد بن جعفر ، أبو الفتوح المراغى ٣٧١هـ كتابًا أسماه " البهجة على نمط الكامل " وألف إبراهيم بن ماهويه الفارسي كتابًا عارض به المبرد فى كامله ،وعكف الصفوة على مراجعة الكتاب والاستدراك عليه ألف أبو القاسم على بن حمزة البصري " التنبيهات على أغاليط الرواة " رصد فيها أخطاء مؤلفات عصره ومنها الكامل ، والكتاب كان قبلة إهتمام الصفوة ،إذ شرحه قديمًا أبو جعفر بن النحاس ، والأخفش ، وحديثًا المرصفى

وقد تعرض المبرد لقضايا لغوية كثيرة تناثرت في ثنايا كتابه ، فهو لم يفرد لها مكاناً محدداً ، وإنما جاءت ضمن الموضوعات التي تعرض لها فقد يورد بيتاً شعرياً وبه كلمة عربية فيبدأ فى الشرح اللغوي والتحليل الصرفي لها ، ويستشهد بشواهد متعددة من القرآن والسنة والشعر تؤيد وجهة نظره .

ومما يدل على نحويته ولغويته العميقة أن خصص أبوابًا لبعض القضايا اللغوية مثل ط باب اللام التى للاستعانة والإضافة –١٩٧ – هذا باب فعل٢١٨ ج٣–

المبحث الثاني : قضايا النقد الأدبي فى كتاب الكامل

تكلم المبرد في كامله عن موضوعات كثيرة ومتعددة إذ كان موسوعي المعلومات ، أدبي الأسلوب ، لغوي الثقافة ، .. لذا حينما تعرض لكتابة كتابه ، كان لديه مددًا موفورًا من المعلومات الأدبية، والأسلوبية ، واللغوية، التي صبغت كتابه ومهرة ثقافته بأنها ثقافة عربية تليدة فهو يميل للتليد أكثر من الحديث ؛ إذ جعل التليد مقياسًا للإبداع فما وافقه فهو مُبْدَع؛ وما خالفه فهو دونه، وطرح كثير من الآراء في ميادين شتى منها :-

- **البـــلاغــة** بلاغة الكلام: تحدث عن الكلام سواء حديثاً أم خطبة ، رسالة أم كتابة فالجامع بينها أنها عن الكلام .... وصفاً ، أم نطقاً ، أم كتابة ، طريقة المتكلم ، وما يستحسن منه ، وما يستقبح وغيرها، من الأشياء المتعلقة بالكلام .وقد خلط بين الشعر والنثر في الصفات والمزايا والعيوب ،

١. **التشبيه** تحدث عن التشبيه في أماكن عدة ، وأورد كثير من الأمثلة التى تدل على أن التشبيه فى كلام العرب سليقة وطبع ، وقد علق د/ إحسان عباس علي ذلك وقال كان المبرد " أسبق من أولي التشبيه مثل هذه العناية التفصيلية وبين أقسامه وجعلها أربعة : المفرط ، المصيب ، المقارب ، البعيد الذى يحتاج تفسيرًا ، واهتم بتشبيهات المحدثين ،خاصة ، وأورد منها طرائف وميز أبا نواس بأتساع المذهب في هذا الباب [١]

وفى تناوله لإبداع المحدثين... يقدم صفة على شعرهم وكأنها مصوغًا له لإثباتها فى سبته – كأن يقول ومما أبدع فيه أبو نواس–وقال الحسن ابن هانىء فى صفة الخمر:

---

١ تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٩٣

فإذا ما لمستها فهباء تمنع اللمس ما يبيح العيونا
درس الدهر ما تحسم منها وتبقى لُبابها المكنونا
فهى بكر كأنها كل شيء يتمنى مُخيرُ أن يكونا
فى كؤوسن كأنها كل شيء يتمنى مخيرُ أن يكونا
طالعات مع السقاة علينا فإذا ما غربن يغْرُبن فينا

وهو يعرض البيت الشعرى ويكتفي بكلمات بعده يفسر ما جاء فيه " وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي

وكأنما انتظمت علي أثباجها قدر بشاية قد يممن وعولاً

ويعلق قائلا الغادر المسن من الوعول .

وقد تتبع هذا التشبيه ووجد أن له جذور فقال :

وذو الرمة أخذ ذلك من المثقب العبدى ، قال المثقب :

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن أبريقهم ظبي علي شرف مفهدم بسبا الكتان ملثوم

واكتفي بتعليق أنه قال " فهذا حسن جداً [١] فقد مضى على الجانب البلاغي في ومضات سريعة .فلم يحلل أو يشرح وجه الإبداع البلاغى فى الأبيات .

٢. **السرقات الشعرية** من القضايا النقدية الهامة التي شغلت المبدعين هل سقط المتأخر على إبداع المتقدم ونسبه إليه ؟ وهل هناك تغيير ، وأيهما أبدع منجز المتقدم أم تقليد المتأخر ؟! وقد تحدث عنها المبرد كغيره من النقاد

١ الكامل للمبرد جـ٣ صـ ٣٢ .

والأدباء في عصره ، لكن قيل إنه لم يوفيها حقها ولكن برأه د / إحسان عباس من إغفال تلك القضية التى أثيرت فى عصره وقال : (إن الصولى كان موالياً حين وصفه بأنه لا يعرف " استراقات الشعراء ") لأنه نص فى كامله على بعض المعاني المسروقة ، يقول : –

وقول ابن أبي عيينه

أن الليالي والأيام أنفسها لغير أنفسها لم تكتم الخبرا

أخذه أبو تمام فقال :

عمري لقد نصح الزمان وأنه من العجائب ناصح لا يشفق

وقد عرضها المبرد بشكل جيد ويقول : إن المبرد فطن للمعاني الأصيلة، ويرجع الجديد لقديمه ويقول " ولا يخفى أن الاهتداء إلى مواضع الأخذ والإحتذاء يعد من أدق ما يفطن إليه النقاد الحاذقون بالأدب وصناعته ونقده ... ويقول إن بحث المبرد المستفيض هذا؛ كان أول من فتح باب القول فى هذا الموضوع، فولجه من بعده كثير من النقاد فكان بهذا أستاذاً "[١]

وكانت السرقات تشغل الجميع آنذاك فعقب قائلا : "فزاد بقوله ناصح لا يشفق علي قول ابن أبي عيينه شيئاً طريفاً وهكذا يفعل الحاذق بالكلام) [٢]

لكن لم يثبت أيهما أبدع وأجود

وقد يعهد إلى المعلومة فيثبتها وهي متشعبة النواحى متعددة الإتجاهات : كما تحدث عن الهدهد[٣] إذ الخبر أُسند إلى آية قرآنية ، وحوى معلومة خلقية عن العهد ، ومعلومة دينية عن التسليم للقدر .

---

١ – دراسات فى نقد الأدب العرب ،من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، د احمد بدوى طبانه ، صـ ٢٣٤ ، مكتبة الانجلو

٢ الكامل جـ ٢ صـ ١٢ .

٣ الكامل ج ١ صـ ١٦٦

-**الحكمة** ... أولى المبرد الحكمة عناية خاصة[١] وجعلها الفئ الذي يستروح فى ظله المتلقي ، فبعد كل عدة أبواب نجد باباً للحكم ، يتحدث فيه عن حكمة وردت فى قول خليفه أو حكيم ، سواء أوردت شعراً أو نثراً . مثل : من أقوالهم فى الفقر والغنى

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ولم أر مثل المال أرفع للرَّذل
ولم أر خيرًا لأمرىء كعشيرة ولم أر ذلًا مثل نأي عن الأصل
ولم أر من عُدم أضر على امرىء إذا عاش بين الناس من عدم الفعل

فقد بدأ الخبر بجملة " ومن أقوالهم" .. وهى أقرب إلى الحكمة من آراء مرسلة أونظرات فاحصة والفقرة السابقة تدل على حرصه على تفسير العبارة وتوضيح الكلام ، والاستعانة فى ذلك بكافة المعينات من آى القرآن الكريم ، وحديث الرسول ﷺ ، والرجوع إلى الشعر، حيث يعد المبرد إمام الأدباء والبلاغيين فى علاج هذا الموضوع الذي يعد من أهم موضوعات البيان وقد جمع فى هذا الباب بين الرواية والشرح والنقد ، وساق فيه قدراً كبيراً من النصوص التى ازدانت بفن التشبيه وفسرها ونقدها وبين ما فيها من جمال ، فقد درس الأدب العرب ، فوجد التشبيه يجرى كثيراً فى كلام العرب حتى لو قال قائل: " هو أكثر كلامهم لم يبعد " [٢]

ونجد أن الكتاب يحوى حكماً كثيرة معنونه بعنوان باب نبذ من أقوال الحكماء . وهي متناثرة بين ثنايا الكتاب وقد ورد ذلك بكثرة في كتابه مما يضيق المقام عن إثباته [٣]

---

١ ففى الجزء الأول وقعت الحكمة متفرقة فى كثير من الموضوعات صـ ٤٣، ٥٥،٥٦، ١٦٨، ٢١٥، ٢٤٠

٢- دراسات فى نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث صـ ٢٣٧ .

٣- الكامل جـ ١ صـ ٤٣ – ٥٦ – ٦٥ – ١٠٧ – ١٤٥ – ١٦٨ – ١٨٩ – ٢١١ –
=

قال أبو العباس : ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ، ونعود إلى المقطعات إن شاء الله [١]

فهي تدور فى فلك واحد من رأى القدامى فى الشرف والسؤدد ، ونسب كل قول لقائله ، لكنه لم يعمد إلى التأويل والتفسير باعتبار أن الكلام مفسر واضح إلا فى عبارات قليلة موجزة .

كقوله تأويل المداجاة المداراة ، أي لا تظهر لهم ما عندك من العداوة فهي عبارة عن ضوء خافت للتفسير دون إفاضة فى الشرح والتعليل.

يروى عن ابن عمر أنه كان يقول : إنا معشر قريش ، كنا نعد الجود والحلم ...السؤدد ، ونعد العفاف وإصلاح المال... المروءة .

قال الأحنف بن قيس : كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به .

وقيل لعبد الملك بن مروان : ما المروءة ؟ فقال : موالاة الأكفاء ، ومداجاة الأعداء .

وتأويل المداجاة المداراة ، أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة ، وأصله من الدجى ، وهو ما ألبسك الليل من ظلمته .

وقيل لمعاوية : ما المروءة ؟ فقال : احتمال الجريرة وإصلاح أمر العشيرة فقيل له : وما النبل ؟ فقال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند القدرة .

وكان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له : يا هذا ، إنك قد اخترتني جاراً واخترت دارى داراً ، فجناية يدك على من دونك، وإن جنت عليك يد فاحتكم علي حكم الصبي على أهله .

=

٢١٥ جـ ٢ صـ ٣٣ – ١٢٤ – ٢١١ .

١ الكامل جـ ١ صـ ٤٣ .

وذلك أن الصبي قد يطلب ما لا يوجد إلا بعيداً ، ويطلب ما لا يكون البتة قال الشاعر :

ولا تحكما حكم الصبى فإنه كثير على ظهر الطريق مجاهله

وقد يورد الخبر ولا يشفعه بتعقيب مكتفيًا بإثباته وهو كثير منه:-

قيل لمعاوية رحمة الله عليه : ما النبل ؟ فقال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند القدرة.

المبحث الثالث: منهج المبرد في مقاربة[1] النص الأدبي

١ معجم المعانى الجامع : تعريف ومعنى مقاربة نص ١- مفاربة نص : النظر فيه ، تحليله لمعرفة أوْجُهه ، ٢- وصى أقاربه بولده : عهد إليهم فيه وكلغهم به ، ، وصانى بابنه ، ومقاربة كلمة أصلها الاسم (مقاربة) فى صورة مفرد مؤنث وجذرها (قرب) وجذعها (مقاربة)

- كان المبرد ممتلىء علمًا ومعرفة سابقًا عصره وكان أسلوبه النقدي ثريًا غنيًا وإذا كانت المقاربة APPROACHا

تومىء إلى اختيار أو بلورة مخطط أو إطار منهجى محدد لتناول موضوع ما "[1] مما يثبت مهارة بحثية محورية استهدفت بلورة مخطط منهجى ملائم للموضوع المراد مقاربته .. وغيرها من المعانى والمصطلحات الحديثة إلا أنَّ الثقافة العربية اللغوية والنقدية للمبردأوجدت ذلك بوسمها لا باسمها حين قرن رؤياه ووجهة نظره بما يؤيدها من الشواهد تعليلًا وتفسيرا يفهمه المتلقي ويستوعبه. **وقد أكثر من الشواهد التى يتشفع بها لتقريب وجهة نظره وإيضاحها، حتى عد البعض كتابه كتاب رواية إذ كثر فيه الأقوال المروية نسبة إلي غيرها من المواد فهو فيه (كثير من الشرح والتحليل ، كثير من النقد والموازنة ، وقليل من الكلام في عناصر الأدب ، والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية)[2] والرواية للنماذج المتعددة تقرب الفكرة المراد إيصالها وتهيؤها للمتلقى فيستوعبها فى يسر وسهولة ، مما يدل على ملكة المبرد وذوقه الأدبي ، وتنبه حاسته الفنية ،**

وثقافته العربية تطل علينا الفينة بعد الأخرى، معتلية الثقافات المختلفة التى حازاها ، فقد يأتى بالخبر ثم يُزيِّلُه بما يؤيد رأيه سواء أكان هذا الرأي يتوافق مع المروي أو يخالفه كما قال : " ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ألا أخبركم بشراركم[3] ؟ : من أكل وحده ، ومنع رفده ، وضرب عبده ، ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا ، ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ :" من يبغض الناس ويبغضونه " ويروى عنه عليه

---

١ ويكيبديا معنى كلمة مقاربة ..

٢ البيان العربى صـ١٠٥

٣ – صحيح مسلم بشرح النووي.وأخرجه الخراط في مساوئ الأخلاق ٩٨– رقم ٢٣٣ .

السلام أنه قال : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعي بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه "[١] .

قول ﷺ : " تتكافأ دماؤهم " من قولك : فلان كفء لفلان ، أى عديله ، وموضوع بحذائه ، قال الله عز وجل : ﴿ ولم يكن له كفؤاً أحد][٢] ﷻ يقال : فلان كفاء فلان ، وكفئ فلان وكفء فلان

ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدة مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتنكح فى أكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الإسلام وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، والحبطات هم بنو الحارث بن عمرو ابن تميم . فقوله : " أكفاؤهم " إنما هو جمع كفء يا فتي ، فقال رجل من الحبطات يجيبه .

أما كان عبّاد كفيئا لدارم ! بلى ولأبيات بها الحجرات

يعني بني هاشم من قول الله ﷻ :﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾[٣] .

فهو هنا في سرد متتابع أورد حديثًا نبويًا ، ثم بيتًا شعريًا ثم زاده بأية قرآنية لتفسير كلامه . وقال على بن ابى طالب رحمه الله : من لانت كلمته ، وجبت محبته وقال : قيمة كل امرئ ما يحسن .

---

١ – **سنن ابن ماجة – كتاب الديات .باب المسلمون تتكافأ دماؤهم الجزء الثاني .**

٢ سورة الإخلاص

٣ –**سورة الحجرات الاية ٤**

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

وقال : كفي بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئا ثم يأتي مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه

وعن أول خلة جاء قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيما

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها، ومن الكعبة ركنها ،ومن السيوف صميمها . يعني سهيلا من النجوم ، والركن اليماني، وصمصامة عمرو بن معدى كرب .

فهو هنا عمد إلى الإشارة إلى ما يوطد المشاعر، ويوثق العلاقات، وأتى بأمثلة تدعم جليل الشعور الإسلامي الإنساني ، فانتخابات المبرد التي يوردها تتوافق مع المعايير الخلقية ، وتعكس الثقافة الإسلامية والمخزون الفكري العربي من خلال المرويات العربية ذات القيمة ، والتي تعكس فكر صائب ورأي سديد ، وبلاغة أسلوبية في تكثيف دلالي .

قال أبو العباس : قال بعض الحكماء : من أدب ولده صغيرا سُّر به كبيراً وكان يقول : من أدب ولده أرغم حاسده

وقال بعض الحكماء : ثلاث لا غربة معهن : مجانبة الريب وحسن الأدب ، وكف الأذى .

وقال عمرو بن العاص لدهقان نهر تيرى [1]: بم ينبل الرجل عندكم ؟ فقال: بترك الكذب ، فإنه لا يشرف إلا من يوثق بقوله ، وبقيامه بأمر أهله ، فإنه

١ الكامل جـ ١ صـ ٦٣ .

لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره ، وبمجانبة الريب فإنه لا يعز من لا يؤمن آلا يصادف على سوأة ، وبالقيام بحاجات الناس ، فإنه من رجي الفرج لديه كثرت غاشيته ". **وهذا القول المثبت يدل على رجاحة عقل المبرد لأنه يحوى نزعة عقلية ، تنبع من الإحساس بالواقع الاجتماعي وبإدراك أبعاد الشخصية السوية** ، وقال بزرجمهر : [١] من كثر أدبه كثر شرفه ، وإن كان قبل وضيعا ، وبعد صيته وإن كان خاملاً ، وساد وإن كان غريبا ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقتراً . **وهذا الرقي التعبيري والأداء الأسلوبي جعل الجمع يلتف تلقاء الأدب داعين إلى تحصيله.**

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة ، وجمال فى المحفل وسبب إلى طلب الحاجة .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : من أفضل ما أعطيته العرب ؛ الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته . فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . **وهذا القول دال على سعة بصر عمر ، إذ أدرك دور الشعر في تقوية الروابط الإجتماعية** وقد أورد أول خطبة قالها عمر بقوله [٢] (أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب)

" **ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أول خُطْبَة خطبها – حدثنا العُتْبي قال : لم أر أقل منها فى اللفظ ، ولا أكثر فى المعنى – حَمِد الله وأثنى عليه وهو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال " أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحَدُ أقوى عندى**

١ الكامل جـ ١ صـ ٦٥

٢ الكامل صـ ١٤

من الضعيف حَتَّى آخذ الحق لهُ ، ولا أضعف عِندِى من القوِىِّ حتىَّ آخذ الحق منه .

ثم نزل . وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قبل الأختيار ، بما عَضدهُ به من الفعل المشاكل له، قال أبو الحسن : قد روينا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح ، فقد أورد الخبر وأبدى رأيه فيه ، وحكم بصحته ...

وكان شعبة بن الحجاج [1] أو سماك بن حرب – (قال أبو الحسن : هو سماك بلا شك) إذا كانت له إلى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه .**فالمبرد ربط تلك الجزئيات** ، فالسمة العربية التحليلية واضحة لديهواورد الأمثلة ليقرب المعنى ويستبان فى ذهن المتلقى وشواهده يغلب عليها السمة العربية ، إذ كثر استعانته بقول الأعراب فيقول " لأعرابي " [2]

وحقُه من نساء لبستها شبابي وكأس باكرتنى شمولُها

حديدة سربال الشباب كأنها أباءةُ بَردِىّ سقتها عيولها

محملة باللحم من دون خصْرِها تطولُ القصارُ والطوال تطولها

ثم يفسر ما جاء من ألفاظ .. قوله " باكرتنى شمولها " زعم الأصمعي إن الخمر أنما سميت " شمولًا" لإن لها عصفة كعصفة الريح الشمال ، وقوله " أباءةُ بَرْدِيَّ" ، الأباءة: القضية وجمعها الأباءُ يا فتى ، فالمبرد: استعان على شرح الأبيات بقول الأصمعي وهو من هو فى شأن العربية ، ثم عمد إلى تفسير الكلمات لغويًا ثم استشهد بقول كعب بن مالك الأنصاري

من سره ضرب يرغبلُ بعضه بعضًا كمعمعة الأباء المحرق

---

١ الكامل جـ ١ صـ٦٦ .

٢ المرجع نفسه صـ ٢١٦

المعمعة : صوت إحراقه ، يقال : سمعت معمعة القصب.. والقوة صرَّة فى النار أى صوت إحراقها ، وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبة؛ لنقاء اللون المستتر منها ، وما والاهُ ورمَّته. قال حميد بن ثور الهلالي .

لم ألق عمرةً بعد إذ هى ناشىء خرجت معطفة عليها مئزر

بررت عقيلة أربْع هاد ينها بيض الوجوه كأنهن العُنْقَرُ

العطاف : الوشاح للناس ، والعُنْقَرُ: أصول القصب، يقال عُنْقَرُ وعُنْقُرُ وفى هذا لشعر

ذهب بعقلك رَيطةُ مطويةٌ وهى التى تُهْدَى بها لو تنسرُ

- **الاهتمام بالجانب الروحى والمادي**

وقال محمد بن على بن الحسين : جميل التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء مكيال ، ثلثاه فطنة ، وثلث تغافل . فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير، ولاحظا فى الصلاح ، لإن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن به .

مما يدل على الحصافة وشدة الوعى والفهم

وقد مال هنا إلى الحديث عن الجانب الروحي عن صفات روحية نص عليها الدين ، إذ بوجودها يصلح المجتمع ، وتتآلف أجزاؤه

- الدقة في انتخاب الشواهد والمرويات المستشهد بها ، فنتيجة لثقافته المستفيضة واطلاعه الواسع يقع على الشواهد المتوافقة لما يريد التعبير عنه وإثباته بيسر وسهولة ، فيورد أقوالًا تجمع بين تحسين السلوك ، وحسن الصياغة فتؤدى باستفاضة المعنى المقصود يقول :-

قال أبو العباس : قال الأحنف بن قيس : ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة ؟ الخلق السجيح ،والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأدوإ الداء ؟ الخلق الدنئ ، واللسان البذئ .

وقال الأحنف : ثلاث في ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر :

ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه – يعني السلطان – ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم إليه الناس .

وتتناثر النظرات الصرفية ، واللمح النحوية في كتابه ، فهى تأتي مزيلة للقول المنقول لا يعمد إليها وإنما تتسرب في ثبته وفق الخاطر ؛ وتوائمًا مع ما يتحدث عنه .

تكسر الحاء وتضمها إذا أردت الاسم ، وتفتحها إذا أردت المصدر ، أنشدنى عمارة بن عقيل لجرير .

قتل الزبير ، وأنت عاقد حبوة قبحا لحبوتك التى لم تحلل !

ويقال فى جمع حبوة : حبا وحبا ، مقصوران .

فقد فسر النثر بالشعر وألقى إشارة لغوية على بعض الكلمات فى عجالة تسيطر – غالباً – على تعقيباته . و قد تسبق إلي قلمه نظرة بلاغية فقد تحدث عن أحد أجزاء البديع (اللف والنشر)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما أحسن الحسنات فى آثار السيئات، وأقبح السيئات فى آثار الحسنات ، وأقبح من ذا وأحسن من ذاك ، السيئات فى آثار السيئات والحسنات فى آثار الحسنات .

والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره وقال الله ﷻ :﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ [1]

وقال رجل لسلم بن نوفل : ما أرخص السؤدد فيكم ! فقال سلم : أما نحن فلا نسود إلا من بذل لنا ماله ، وأوطأنا عرضه ، وامتهن فى حاجتنا نفسه . فقال الرجل : إن السؤدد فيكم لغال .وقد صدر الخبر " ما أرخص " بالاستفهام

---

١ – سورة القصص الآية رقم ٧٣ .

الذى لم يوضح أهو حقيقي أم خرج لمعنى مجازي " التعجب" وهناك تضاد بين (أرخص – غال)

ولسلم يقول القائل :

يسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال معاوية – رحمه الله – لعرابة بن أوس بن قيظى الأنصاري : بم سدت قومك ؟ فقال : لست بسيدهم ، ولكني رجل منهم ، فعزم عليه فقال : أعطيت فى نائبتهم ، وحلمت عن سفيههم ، وشددت على يدى حليمهم ، فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلي ، ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزه فهو أفضل مني . والكامل... يحمل معاني وأفكار عظيمة ، وإن كان لا يشار لها فى النص ، لكن المبرد عمد إلى استكناه ما غمض فى النص " فالبناء لا يبحث فى محتوى الشيء وخصائص هذا المحتوى ، بل يبحث فى علاقة الأجزاء أو العناصر بعضها ببعض ، بقصد الكشف عن وحدة العمل الكلية ، وليس معني ذلك أن النص من الداخل قد حوى الكثير من المعاني ، واحتمل الكثير من الأفكار التى لا ظلال لها فى خارجه إن " الخارج والداخل هنا ليس على طرفي نقيض بقدر ما هما متكاملان من خلال وضعية نقدية معينة ... [١]

فالمبرد عمد إلى تفسير ما أبهم من الكلام من خلال إيراد ما شابهه من الشعر وفسره فى صياغة جميلة ، وأسلوب شائق ، وحاول تفسير ما بين الأبيات التى أوردها من علاقات داخلية متوصلاً لتلك الرؤية قبل البنيويين " النص فى التحليل الداخلي فينتقل البنيويون فى دراسته من مستوى تأمل الصوت مخارج

١- فى النص وقراءة النص د / محمد أحمد العزب صـ ٦٦ .

ونبرات ، إلى مستوى تأمل الصرف أبنية وصيغاً واشتقاقات ، إلى مستوى تأمل النحو تركيباً ومعاقبة، إلى مستوي تأمل الدلالة معجماً وطبيعة وعرفاً" [١]

- **الجانب التاريخي :**

ظهر الجانب التاريخي عند المبرد جلياً ظاهراً في إيراده أخبار الطالبيين والأمويين والشيعة ، ولكنه لم يوضح أن هذا الجانب سرداً تاريخياً بل أوردها على هيئة أخبار

- **كثرة الموضوعات وتنوعها وتواليها بلا رابط :** من الظواهر الأسلوبية البينة في الكامل إيراد الأخبار دون رابطة بينها، سمة ظاهرة فى كتب الأدب والنقد فى العصور الأولي فقد يورد خبراً تاريخياً ، ثم خطبة لأحدهم ، وقد يورد أبياتاً لغرض ما مدح ، أو رثاء ، فخر ، أو غزل ، ثم يعود مرة أخرى لهذه الموضوعات فى غير هذا الترتيب ، ربما كان هذا أمرًا متبعًا فى المؤلفات آنذاك. وقد أورد نتفاً من أخبار متفرقة خطبة الحجاج في أهل العراق[٢]

حيث أورد رأى الحجاج فى أهل العراق فى ثمانية أسطر ، ثم عمد إلى تفسيره وتوضيحه مستعيناً بالتفسير اللغوي حيناً والتفسير الشعري حيناً آخر ، وقد يضمن الحاشية حكاية حقيقة أو متخيلة .

من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه [٣]

أورد كلام ابن الأشعث وتهوينه من شأن الحجاج ، وقرنه بتعليق من أحد الحضور وإلقائه اللوم عليه لتقليله من شأن الحجاج ؛ دون أن يعقب هو على كلام هذا أو ذاك .وأحيانًا أخرى يزيل الأمثلة بشرح مستفيض وتعليق وافي ... فبعد أن حكي إعجاب عبد الملك بالجارية ... أورد الآبيات التى جاءته فى كتاب

---

١ –المرجع السابق صـ ٦٧ .

٢ الكامل ج ٢صـ ٢١٥

٣ الكامل ج ٢ صـ ٢١٧

عبد الرحمن ثم نص على اختلاف قافية أحد الأبيات [١] كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك فى وقت محاربته ابن الأشعث [٢]

فما كان مخاطبة مباشرة أوردها تحت مسمي كلام، وما كانت هناك مراسلة أوردها تحت مسمي كتاب، وأورد خبراً بالتفصيل والشرح تحت عنوان الأعرابي يشكو حبيبته [٣] وقال أعرابى :

شكوت فقالت : كل هذا تبرما بحبى ! أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب، قالت : لشد ما صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى، فأبعد طالباً رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها وتجزع من بُعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ؟ أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

قوله :" كل هذا تبرما " مردود على كلامه ، كأنها تقول له : أشكوتني كل هذا تبرما ! ولو رفع رافع " كلا " لكان جيدا يكون " كل هذا " ابتداء وتبرم خبره " وشَجِى " مخففة وفى الخلى مثقلة ، وقياسه أنك إذا قلت فَعِلَ يفعَلُ فعَلاً ، فالاسم منه على فَعِل نحو فرق يفرق فرقاً فهو فرق، وحذر يحذر حذراً فهو حذر، وبطر يبطر بطرا فهو بطر، فعلى هذا شَجِىَ يَشْجَى شَجَى فهو شَجٍ يا فتى كما تقول : هَوِىَ يَهْوَى هَوىً فهو هَوٍ يا فتى .

وقوله : ** **فيا قوم هل من حيلة تعرفونها** **

موضع " تعرفونها " خفض لأنه نعت لحيلة ، وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجب جوابا لا يجزم ، تقول : ائتنى بدابة أركبها ، أي بدابة مركوبة،

١ المرجع السابق صـ ٢١٧ ، ٢٢٢
٢ المرجع السابق صـ ٢١٩.
٣ الكامل صـ ٢٢٧ – ٢٢٨ .

فإذا أردت معني : فإنك إن أتيتني بدابة ركبتها قلت : " أركبها " لأنه جواب الأمر ، كما أن الأول جواب الاستفهام وفى القرآن ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ [1] أي مطهرة لهم ، وكذلك : ﴿ أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً ﴾ [2]

أي كائنة لنا عيداً ، وفى الجواب : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا ﴾ [3] أي أن تركوا خاضوا ولعبوا وأما قوله ﷻ :﴿ ثم ذرهم فى خضوهم يلعبون ﴾ [4] فإنما هو فذرهم فى هذه الحال لأنهم كانوا يلعبون وكذلك : ﴿ ولا تمنن تستكثر[5] ﴾ إنما هو (لا تمنن) مستكثراً فمعني ذا : هل من حيلة معروفة عندكم [6]وقد يضم أبياتاً بعضها إلى بعض تأتي تترا فى معني واحد [7] وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

رأيت فضيلاً كان شيئا ملففا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

أأنت أخى ما لم تكن لى حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا!

فلا زاد ما بينى وبينك بعدما بلوتك فى الحاجات إلا تماديا

فلست براء عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

---

١ – سورة التوبة الآية رقم ١٠٣ .

٢ –سورة المائدة الآية رقم ١١٤ .

٣ . سورة الزخرف الآية رقم ٨٣ .

٤ – سورة الأنعام الآية رقم ٩١ .

٥ – سورة المدثر الآية رقم ٦ .

٦ الكامل جـ ١ صـ ٢٢٨

٧ الكامل صـ ١٧٢ ، ١٧٤

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

كلانا غنى عن أخيه حياتـه ونـــحـن إذا متـــنا أشد تغانيا

قوله : " كان شيئا ملففا " يقول : كان أمراً مغطى والتمحيص : الاختيار ، يقال : أدخلت الذهب فى النار فمحصته أى خرج عنه ما لم يكن منه وخلص الذهب قال الله ﷻ :﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين[1] ﴾

ويقال : محص فلان من ذنوبه .

وقوله : ** **أأنت أخى ما لم تكن لى حاجة** **

تقرير وليس باستفهام ، ولكن معناه : أنى قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من إخائك شيئا وقال الله ﷻ :﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله [٢] ﴾ إنما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز يعلم بأن عيسى لم يقله .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاث ، لا يعرف الشجاع إلا فى الحرب، ولا الحليم إلا عند الغضب ،ولا الصديق إلا عند الحاجة ،. وقال عبد الله بن معاوية أيضاً :

أنى يكون أخا أو ذا محافظة من كنت فى غيبه مستشعرا وجلا

إذا تغيب لم تبرح تظن بـه سوءا وتسأل عما قال أو فعلا

وقد اهتم بشأن الأعراب ،وأورد كثير من كلامهم وخطبهم " خطبة لأعرابي البادية "

١ – سورة آل عمران الآية رقم ١٤١ .

٢ – سورة المائدة الآية ١١٥ .

- **نشر الإبداع دون تحديد المبدع** ورد غير مرة أن يثبت المبرد أبياتًا أومواقف دون أن ينسبها لقائليها أو محدثيها مثل قوله [1] وقال آخر :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

-الاهتمام بالدلالة النفسية للصفات الجسمانية

وقد أشار المبرد إلى الصفات الحسنة عند العرب ، فأورد أن العرب تمدح الطول يقول: [2] والعرب تمدح الطول ، وتضع من القصر فلا يذكره منهم إلا محتج عن نفسه ، ولا يمدح به غيره ، قال عنترة :

بطل كأن ثيابه فى سَرحة يُحذى نِعال السبت ليس بتوءم

يقول : لم يشارك فى الرحم ، وقال جرير :

تعالوا ففاتونا ففي الحكم مقنع إلى الغُر من أهل البطاح الأكارم

فإنى لأرضى عبد شمس وما قضتوأرضى الطوال البيض من آل هاشم وقال حسان بن ثابت :

وقد كنا نقول إذا رأينا لذى جسم يعد وذو بيان

كأنك أيها المعطى بياناً وجسما من بني عبد المدان

ويقال إن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان إلى منكب عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب العباس ، وكان العباس إلى منكب عبد المطلب .

١ الكامل ج٢ صـ ١٧٦ ج ١ صـ ٣٠

٢ الكامل جـ ١ صـ ٧٩ .

وحدثني التوزى قال : طاف على بن عبد الله بالبيت ، وهناك عجوز قديمة ، وعلى قد فرع الناس ، كأنه راكب والناس مشاة ، فقالت : من هذا الذي فرع الناس ؟ فقيل : على بن عبد الله بن عباس فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض .

وحدثني على بن القاسم بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس قال : كان يقال : صار شبه على بن عبد الله فى عظم الأجسام فى العليين – يعني على بن أمير المؤمنين المهدى المنسوب إلى أمه ريطة وعلى بن سليمان بن على .

ويروى أن رسول الله ﷺ – وهو الأسوة والقدوة – كان فوق الربعة ، ولم يكن بالطويل المشذب ، وكان إذا مشى مع الطوال طالهم . ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال فى الاعتدال ، ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالي لنبيه محمد ﷺ .وقد يقال : الكيس فى القصر وقد قيل فى خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل ، واستغني عن الإعادة " وهذا التعقيب الأخير يدل على أنه لا يكرر المشاع والمألوف ويكتفي بالإشارة إلى ما عرف وانتشر .

نجد الحديث عن السؤدد والسيادة والشرف تناثر ضمن أقوال الحكماء ثم أدخل فيه من غير جنسه . اللف والنشر وهو لون جمالي بلاغي نوه عليه .. وأشار لبعض التشكيلات اللغوية .فهناك انتقال مفاجىء بين الموضوعات ، وقد يغادر موضوعًا ثم يرجع له مرة أخرى .

فالأبواب التي تعرض لها المبرد كثيرة ومتشعبة ، ووردت في خيط غير منظوم بل طرحها كيفما اتفق وقد علق عليها د / بدوى طبانه بقوله : إن الأبواب التى تعرض لها الكامل تعكس ثقافة المبرد وسعة اطلاعه_؛ لكن ذلك ظهر فى عرضه لبعض أصول الأدب ، وعالج بعض النواحي الفنية للنقد، ثم يطرى على منهجه من الشرح والتعبير والتحليل،ويوضح سبب تفضيله له ؛

ويقول إن تلك الخطوات هامه جدا للنقد والناقد، و لا تقل أهمية عن عملية إصدار الحكم، وليس إصدار ذلك الحكم على العمل الأدبي أو غيره من الأعمال ضرورياً أو خطيراً بالدرجة التى يتصورها أكثر الناس ، فقد يكون ذك من أيسر ما يراد من الناقد كلفة ، ومن أخفه عليه مئونة .**ولكن أهم من إصدار الحكم تلك الخطوات التى تسبقه من عرض النص ، وتوضيحه ، وتحليله، وتقسيمه إلى عناصر وأجزاء ، وذلك ما يحتاج إليه القارئ أو السامع ، لأن كلا منهما محتاج أولاً وقبل كل شيء إلى الفهم والإدراك ، وهذا الفهم هو الذي سيثير انفعاله ويؤثر فى شعوره ، ووجدانه ، وسيكون إصدار الحكم بعد الإدارك والشعور أيسر من اليسر بعد تهيئة الذهن والحس ، وللناقد بعد ذلك أن يحتفظ برأيه لنفسه ،أو أن يعبر عنه إن كان من الذين يعنيهم إعلان ذلك الرأى لعامة الناس أو خاصتهم** " [١]

١ –دراسات فى نقد الأدب العربي صـ ٢٣٩ – ٢٤٠ .

- **التوصل لأهمية الجانب النفسي الشعورى**

كذلك أيضًا توصل المبرد قبل المحدثين إلي أثر الأسلوب، على المتلقى، وإيحاء الكلمات، ودلالة العبارات ؛ ، وإذا كانت الأن أبحاث تعقد عن أثر النص في المتلقين فإن المبرد تحدث عن الأساليب العربية ؛ وتنوعها؛ وأهميتها؛ وكيف أن لكل أسلوب جماله وبهائه،فى مجاله والقرآن الكريم المثل الأعلى فقد أى الحادثة مسهبة فى سورة وموجزة لإى أخرى وكلٌ فى موقعه بليغ مبين ، وأن الأضداد – الإيجاز والإطناب– التلميح والتصريح– المعنى الحقيقي؛ والمعنى المجازي إذا ما استخدمهم عالم بأسرارهم حسن كلامه ، وتم مراده ، وقد عنون ذلك بعناوين متعددة واستشهد فيه بأمثله متنوعة يقول :

وقال أبو العباس[١] من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخم ، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوى الألباب عن كشفه كما قيل : لمحة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق ،والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، فيقع فى كلام أحدهم المعني المستغلق واللفظ المستكره فإن انعطفت عليه جَنبتا الكلام غَطّتا على عواره وسترتا من شينه . إن شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلك له ، ولكن يغتفر السيئ للحسن ، والبعيد للقريب [٢]

وهو يشير إلى أن الشعراء العظام قد يستخدمون الكلمات السهلة والألفاظ الواضحة ، مثل قول الحطيئة :

وذاك فتى إن تأته فى صنيعه إلى ماله لا تأته بشفيع

١ –الكامل جـ ١ صـ ٢٧ .

٢–الكامل ج ١ صـ٣٠

وكذلك قول عنتره :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير فى العرب كالبيت الواهن الضعيف فقال : وقضي عليك به الكتاب المنزل : يريد به قول الله تبارك وتعالي : ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت[1] ﴾ ومن كلامه المستحسن قوله لجرير :

فهل ضربة الرومى جاعلة لكم أباً عن كليب أو أبا مثل دارم

- **إصدار الحكم النقدى .امتلك المبرد مقومات التقييم** .. لذا نراه قد يصدر حكمًا على العمل المبدع بناءًا على ثقافته المتنوعه وحصافته فى تمييز الأعمال الأدبية وفرز غثها من ثمينها

وقد عقب على ذلك د / إحسان عباس حين قال (وهذا رأى لم يحسن صاحبه نفسه استغلاله ، لأن الكشف عن العيوب كان إحدى مهمات النقد الكبرى ، وقد أدرك المبرد ما فى رأيه هذا من ضعف فرد على نفسه بأنه يسلم أن الكلام القبيح يبدو أشد قبحاً إذا وقع بين الكلام الجميل من حوله ، فليست المسألة مسألة خفاء ، وإنما مردها إلى اغتفار القبح من أجل الجمال) [2]

يقول المبرد : ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله :

وما مثله فى الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

---

١ – سورة العنكبوت الآية رقم ٤١ .

٢ الكامل جـ ١ صـ ٢٧ .

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو خال هشام بن عبد الملك فقال :

وما مثله فى الناس إلا مملكاً

يعني بالملك هشاماً أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام فى موضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير :

-**الوضوح في الأحكام النقدية:** لامتلاكه رؤية نقدية فاحصة تساعده فى تقييمه فقد يرسل أحكاماً نقدية حادة وصريحة تدل على ذوق وبصر وفهم يقول .. تحت عنوان " لقيس بن معاذ " فى النسيب [١] وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – وهو المجنون – وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأصمعى يثبته ويقول : لم يكن مجنونا، إنما كانت به لوثة كلوثة أبى حية .

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ببطن منى ترمى جمار المحصب
ويبدى الحصا منها إذا قذفت به‌من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة .

ومما يستطرف فى هذا الباب قول عمر بن أبى ربيعة :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

١ الكامل جـ ١ صـ ٢٣٣ – ٢٣٤ .

أخا سفر جواب أرض تقاذفت به فلــوات فهـو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية ظلـــه سوي ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل :

فأصبحت فى أقصى البيوت يُعدننى بقية ما أبقين نصلا يمانيا

بقية بدل من الياء فى يعدننى بدل الإشتمال

تجمعن من شتى ثلاث وأربع وواحدة حتى كملن ثمانياً
يعدن مريضاً هن هيجن ما به إلا إنما بعض العوائد دائيا[١]

..... ومن الإفراط فيه قوله :

فلو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمام ما تأود عودها

الثمام : نبت ضعيف واحدته ثمامة ، وهذا متجاوز كقول القائل :

**** ويمنعها من أن تطير زمامها ****

وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوى واختصار قريب[٢]

والمبرد يأتي بأبيات وينسبها لقبيلة القائل دون تحديد وقد يثني بنسبتها إلى قائله ويحدد الشخص المعني يقول : وقال رجل من بني عبس ، يقوله لعروة بن الورد [٣]

لا تشتمنى يا بن ورد فإننى تعود على مالى الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به خصاصة جسم وهو طيان ماجد
وإنى امرؤ عافى إنائى شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

---

١ الكامل جـ ١ صـ ٢٣٣ – ٢٣٤ .
٢ الكامل جـ ١ صـ ٢٣٤
٣ الكامل جـ ١ صـ ٢٣٤

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[١]

وهو يشرح الأبيات ثم يعاود فيهم بتفسير الشرح ، وهذا الشرح قد يحوى الجانب الصرفى والجانب اللغوي قوله[٢]:" النؤوب " يريد الذي ينوبه ، وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار ، تقول فى جمع دار: أدؤر ، وإن شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة وهي مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست إحداهما مدة لم يكن بد من همز الأولي تقول فى تصغير واصل وواقد : أويصل وأويقد لابد من ذلك فأما وجوه فإن شئت همزت فقلت:أُجُوه، وإن شئت لم تهمز قال الله ﷻ[٣] ﴿وإذا الرسل أُقتّت[٤] ﴾ والأصل وقتّت ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت وقوله ﷻ :﴿ ما ووريٰ عنهما ﴾ الواو الثانية مدة فلا يعتد بها؛ ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو

وقد أردف تفسيرًا لكلامه حيث رأى ضرورة التنويه على ان الناحي هذا المنحى قد أخطأ وقولى : إذا انضمت لغير علة " فالعلة أن تكون ضمتها إعراباً نحو هذا غزو يا فتي ودلو كما ترى هذا مما لا يجوز همزه ،لأن الضمة للإعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين ، فذلك أيضاً غير لازم فلا

١ الكامل جـ ١ صـ ٢٨ .

٢ الكامل جـ ١ صـ ٥٢

٣ الكامل جـ ١ صـ ٥٢ .

٤ – سورة المرسلات الآية ١١.

يجوز همزه نحو أَخْشُوَا الرجل و :﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم[1] ﴾ و : ﴿ لترونّ الجحيم [2]﴾ ومن همز من هذا شيئا فقد أخطأ [3]

فقد استشهد بآيات الذكر الحكيم ليؤكد صدق كلامه وبلاغته.

قضية القدم والحداثة : كان المبرد من النقاد المنصفين فلم يقرظ القديم لأنه قديم أو ينتقص الجديد لحداثته؛ بل مال إلى موقف توفيقى ، وهنا أيضا يتفق والجاحظ في تلك النظرة بين القديم والحديث ، وذلك يتضح من قوله (وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق) [4] وقد استشهد بالأدب الحديث رغمًا عن ميله الفطري للقديم– بسبب عمق دراساته اللغوية ، وثقافاته النحوية، ونظراته البلاغية – فلم يغمط المحدثين حقهم وشهد لمن أصاب أنه أصابا ؛وأورد كثيراً من أشعارهم في كامله ، وعلل ذلك بأنه (يهدف إلى غاية عملية ، يهدف إلى أن يخدم طبقة المتعلمين ، وخاصة من يهيئون أنفسهم لمستوى بلاغي من فئة الكتاب) [5] فالمبرد يستشهد على كلامه بما يؤيده سواء أكان القول لقديم ، أو محدث .

(وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده :

تبحثتم سخطى فغير بحثكم نخيلة نفس كان نصحاً ضميرها
ولن يلبث التخشين نفساً كريمة عريكتها أن يستمر مريرها
وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفواً غديرها

---

١ – سورة آل عمران الآية ١٨٦ .
٢ – سورة التكاثر الآية ٦ .
٣ الكامل جـ ١ صـ ٥٢ .
٤ الكامل ج ١ صـ٢٩
٥ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٩١ .

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضاً :

بنى دارم إن يفن عمرى فقد مضى حياتى لكم منى ثناء مخلد

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهداً وإن عدتم أثنيت والعود أحمد

الاستعانة فى الكلام :

في حديث المبرد عن الإستعانة وقع ثمة خلط بين الشعر والنثر فلم يفصل بين لحق الاستعانة بأحدهما بشكل بين

إذا كان المتكلم ضعيف فى حجته ،غير متمكن من منطقه ، فقد يلحقه البهر من المواجهة ، وقد لا يكون كذلك لكن يرتج عليه الأمر فيستعين عليه بمعينه ، سواء أكان حركات يفعلها أو أقوال يقولها ، خارج نطاق موضوعه ، وقد عرف المبرد الاستعانة بقوله : هي أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة للمستمع إليه ، ليصحح به نظماً أو وزناً ، وقد يصف الهيئة والحالة التى عليها الأديب ، ويوضح أن ذلك جزء مؤثر فى التواصل بينه وبين المتلقين يقول [١] وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء فى شعر :

ملئ ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الأصابع

ثم أورد عدة أمثلة وأخبار تدور في فلك الذهول عند المواجهة ؛ منها الشعر، ومنها النثر ، مثل

وقال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن؛ وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله [٢]:

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الأسل

وُيلمّــه إذا ارتجل ثـــم أطال واحتفل

١ الكامل ج١ صـ ٣٠

٢ الكامل جـ ١ صـ ٣٠ .

ومما يشاكل هذا المعني ، ويجانس هذا المذهب؛ ما كان من خالد بن عبد الله القسري ، فإنه كان متقدمًا فى الخطابة ومتناهيا فى البلاغة، فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلاً فعطعطوا به فقال خالد : " أطعموني ماء " وهو على المنبر ، فعير بذلك ، فكتب به هشام إليه فى رسالة يوبخه فيها سنذكرها فى موضعها إن شاء الله ، وعيره يحيى بن نوفل فقال :

لأعـلاج ثمانية وعبد لئيم الأصل فى عدد يسير

هتفت بكل صوتك : أطعموني شراباً ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيره :

بل المنابر من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

وقد عمد إلى التفسير اللغوى لكلمة " بَهَرَ " التى وردت فى البيت ، وكلما أورد شعراً عمد إلى تحليله بالشعر ، وتفسير ما غمض فيه ، واستعان بآيات قرآنية كريمة؛ وعمد إلى تحليلها لغوياً وصرفياً ونحوياً ، كل ذلك فى إطار تحليل النص ... وهو هنا كمن توصل للبنيوية قبل الوصول إليها بقرون[١] فقد أورد خبرًا عن ابن عباس فى تفسيره لقوله تعالى (" ألم ذلك الكتاب " فقال بن عباس : تأويله : هذا القرآن ، هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهدًا عن ابن عباس ، وأنا أحسبه أنه لم يقبله إلا بشاهد وتقديره عند النحويين ... إلى أخر الخبر فنرى الدقة فى إيراده الخبر والتعليق عليه مما يدل على أمانته فقد يطل علينا موضحًا وجهة نظره ورؤيته فيما يُوْرِد قبل أن يثبته [٢] قال أبو العباس : وهذا باب

١ – وهذا دليل على أن المناهج الحداثية الغربية قد استقاها علماء الغرب من قراءة التراث العربي قراءة متفحصة .

٢ الجزء الثالث صـ ٣

اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهلٍ، ومن جد إلى هزلٍ . ليستريح إليه القارىء . ويدفع عن مُسْتَمعه الملال . ونحن ذاكرون ذلك إن شاء الله .

والمبرد هنا قد توصل إلى أهمية هيئة الخطيب ، والمتحدثِ ، لإحداث التواصل بينه وبين الناس ، فينفذ كلامه إلى داخل قلوبهم ، ويسرى فى عقولهم ، وهو ما ينص عليه المحدثون الآن ، من أن الخطيب لابد أن يحوى قدرات خاصة ، تؤهله ليحدث التواصل بينه وبين المتلقين فيمكنه ذلك من الإقناع ، فلابد من هيئة حسنة وامتلاك لغة إعلامية قادرة على الإفهام وإحداث التواصل .

قضية اللفظ والمعني :

من الموضوعات الهامة التى تحدث فيها النقاد والأدباء القدامي ، قضية اللفظ والمعنى ...وقد تحدث عنها المبرد فى كتابه فقال : ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب :

فمن يك لم يغرض فإنى وناقتى بحجر إلى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدى ما بها من صبابة وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى

وهو هنا لم يطنب القضية أو يسترسل فى الحديث عنها بل اكتفي بهذه الإشارة . وقد زين الشعر بذكر القرآن مفسراً له موضحاً أنه نهج منهجاً حسناً؛ لأنه يتبع منهج القرآن الكريم ... يقول[1] يريد : لقضي على فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله ﷻ :﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ والمعني إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، ألا ترى أن أول الآية : ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون[2] ﴾

١ الكامل ج صـ ٣١

٢ – سورة المطففين الآية ٢،٣ .

فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله ﷻ :﴿ واختار موسي قومه سبعين رجلا[1] ﴾ أي من قومه وقال الشاعر :

أمرتك الخير فأفعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أى أمرتك بالخير .

-وقد عُنى بأمر الخوارج وأورد الكثير من أخبارهم وأخبار قوادهم ، وتناثرت تلك النتف فى الأجزاء الأربعة .

- **وقد يعنون الباب** بعنوان ثم لا يستوفيه فقد عنون مما قيل فى الشباب وأورد قول النمر بن تولب .ثم أخذ يفسر الآبيات تفسيراً لغوياً وصرفياً يستشهد على توضيحه وقال النمر بن تولب :

تدارك ما قبل الشباب وبعده حوادث أيـــــــام تمـر وأغفل

يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف يرى طول السلامة يفعل!

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينـوء إذا رام القيام ويحمل

قصر " البقاء" ضرورة ، وللشاعر إذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فإذا احتاج حذفها لأنها ألف زائدة فإذا حذفها رد الشيء إلى أصله ولو مد المقصور لكان زائدا فى الشيء ما ليس منه قال الشاعر – وهو يزيد بن عمرو بن الصعق :

فرغتم لتمرين السياط وأنتم يشن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر " الفناء " وهو ممدود وقال الطرماح :

وأخرج أمه لسواس سلمى لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله : " وأخرج "يعنى رماداً ، والأخرج الذي فى لونه سواد وبياض يقال : نعامة خرجاء . وقوله : " لسواس سلمى " فإن أجأ وسلمى طيئ وسواس سلمى

---

١ – سورة الأعراف الآية ١٥٥ .

: الموضع الذي بحضرة سلمى ، يقال : هذا من سوس فلان ومن توس فلان أي من طبعه وأمه يعني الشجرة التى هي أصله .وقوله :" لمعفور الضرا " فالضراء ما واراك من شجر خاصة والخمر، ما واراك من شيء والمعفور : يعني ما سقط من النار من الزند . وقوله " ضرم الجنين " يقول مشتعل ، والجنين : ما لم يظهر بعد ، يقال للقبر جنن والجنين : الذي فى بطن أمه والمجن : الترس لأنه يستر والمجنون : المغطى العقل ، وسمي الجن جنا لاختفائهم وتسمي الدروع الجنن لأنها تستر من كان فيها ، وقصر " الضراء " وهو ممدود ومثل هذا كثير فى الشعر جداً .

وقوله : " ينوء إذا رام القيام " يقول : ينهض فى تثاقل قال الله ﷻ :﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة[١] ﴾

والمعني أن العصبة تنوء بالمفاتح ولشرح هذا موضع آخر :

وقال آخر : **** أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى ****

ثم أورد أبياتاً ، وحديثاً نبوياً شريفاً ؛ لكنه لم يذكر الأبيات التى تدل على حسن الشباب وحبوته فى النفوس ، أو التى تدل على ذم المشيب وتبغيضه إلى الناس ، بل أورد أبياتاً قد تذم الشباب والصحة يقول[٢] ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :" كفى بالسلامة داء[٣] "

وقال حميد بن ثور الهلالى :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيــمما

١ – سورة القصص الآية ٧٦ .

٢ الكامل جـ ١ صـ ١٧٦ .

٣ – مسند الشهاب الجزء الثاني صـ ٣٠٢ .

وقال أبو حية النميرى :

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن الليساليا

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية :

كانـت قناتى لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربى في السلامة جاهدًا ليصحنى فإذا السلامة داء

- **النقد التفسيري**

تعرض المبرد لكثير من القضايا النقدية موجزاً مرة ومطنباً أخرى، فى ظل نشاط إنساني فكرى واضح

النشاط نوعان : إما أن يعمل الإنسان عملاً ، أو يصنع شيئاً فأما فى العمل الأدبي ... فيكون الحكم على الفعل نفسه ، وأما فى صنع شيء: فإن الحكم يكون على الشيء الذي صنع وأصبح له وجود محسوس ، ومن هذا الضرب الأخير من النشاط البشرى يكون الفن ؛ ومن السهل الحكم على الفن إذا كان الشيء الناتج عبارة عن حذاء يلبس ، أو قطعة من الخزف . ولكن كيف يكون الحكم إذا كان الشيء الناتج عبارة عن قصيدة أو صورة ؟ إن قيمة الشيء فى هذه الحالة لن تكون فى المادة التى يتألف منها ؟ ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة بل قيمته فى الكيفية التى تؤدي بها المادة وترتيبها غرضاً خاصاً "[1] وقد ورد الجانب النقدي لديه في عدة مظاهر منها :-

- **تأييد حكمه بالدليل اللغوى فقد يصدر حكمًا ، ثم يلتمس ما يؤيده من القرآن والشعر وآراء السابقين** [2]

١ - فصول فى الأدب والنقد د/رأفت حليم سيف صـ ٢٤١ مكتبه سعيد رأفت صـ ١٩٨١ .

٢ سبق ذكر الأمثلة في سمات الأسلوب لديه بهذا البحث صـ

وقد يعهد المبرد فيرسل قولاً نقدياً وحكماً سطحياً بلا خوض فى التفاصيل أو الدواعي وراء حكمه ، ويستشهد بقول آخر ليدلك على صحة ما ذهب إليه [١] وقال رجل من بني تميم :

ألبان إبل تعلة بن مسافـر مادام يملكها على حـرام
وطعام عمران بن أوفى مثلها مادام يسلك فى البطون طعام
إن الذين يسوغ فى أعناقهم زاد يمن عليــهم للئام
لعن الإله تعلة بـن مسافر لعنا يشن عليه من قـدام

وهذا كلام فصيح جدا .

قوله :" يسوغ فى أعناقهم " يريد حلوقهم، لأن العنق يحيط بالحلق ويشبه هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعني قول القطامي :

لم تر قوماً هم شر لأخوتهم منا عشية يجرى بالدم الوادى
نفريهم لهذميات نقـد بها ما كان خاط عليهم كل زراد

لأن الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع فضربه مثلاً فجعله خياطة

قال أبو الحسن : روى أبو العباس :

**** وطعام عمران بن أوفى مثلها ****

ردا لهاء والألف على الألبان ، وهذا لا نظر فيه، وروى أيضاً مثله ، لأن الألبان تجرى مجرى اللبن فحمله على المعني وقد يجوز أن تجعل الألبان جمعاً فتذكر لتذكير الجمع .وروى أيضاً .

**** مادام يسلك فى الحلوق طعام ****

١ الكامل جـ ١ صـ ٥٣ – ٥٥ .

وروى القراء فى هذا الشعر :

**** إن الذين يسوغ فى أحلاقهم ****

وإنما كان ينبغي أن يكون : " فى أَحْلُقِهِمْ " كقولك : فَلْسَّ وأَفلْس ، وما أشبهه ولكنه شبَّه باب " فَعْلٍ " بباب " فَعَلَ " كما قالوا : زَنْدّ وأَزْنَادّ وفَرْخُ وأَفْرَاخُ قال الحُطيئة لعمر بن الخطاب ﷺ :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخٍ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب فعل كما شبهوا فعلاً بفعل فى الجمع فقالوا جبل وأجبل وزمن وأزمن كما قال :

إنى لأكنى بأجبال عن أجبلها وباسم أودية حبا لواديها

فأتي به على الأصل وتشبيها بغيره على ما أخبرتك قال ذو الرمة[1]

أَمنْزِلَتَى مَىّ سلام عَلْيكُمَا هل الأَزْمُنّ اللائِى مَضْينَ رَوَاجِعَ!

والباب " أَزْمَانَ " كما قال رؤبة :

أزمان لا أدرى وإن سألت ما فرق بين جُمعةٍ وسَبْتِ

وروى أبو العباس البيت الأخير مقوى ، وجعله نكرة ، وهو قوله : " من قدام ، كما تقول : جئتك من قبل ، ومن بعد ، ومن عل ، وما أشبهه ، كما قرأ بعضهم : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد [2]﴾ كما تقول : أَولاً وآخراً ورواه الفراء " من قدام " وجعله معرفة، وأجراه مجرى الغايات نحو : " قبل وبعد " كمال قال " طرفة بن العبد " :

ثم تفرى اللحم من تعدائها فهى من تحت مشيحات الحَزُم

---

١ الكامل جـ ١ صـ ٥٤ .

٢ – سورة الروم الآية ٤ .

وكما قال عتى بن مالك العقيلى ، أنشده الفراء أيضاً :

إذا أنا لم أُوَمْن عليك ولم يَكُنْ لِقَاؤُك إلاّ مِنْ ورَاء ورَاء

فقد لجأ إلى التفسير الصرفي ، واللغوي مستشهداً بروايات مختلفة ، وآيات القرآن وهو هنا يفعل ما فعله القليل من النقاد يقول سيد قطب [١] وكان يقع أن يعلل الناقد حكمه فى بعض الأحيان ولكنه تعليل ساذج يتعلق بلفظة أو بمعلومات حسية أو ما أشبه ولا يتعلق بالقيم الشعرية على كل حال [٢]

وقد توالت أمثلة لذلك

قال أبو العباس : قال رجل – أحسبه من بني سعد – يرثى رجلاً :

ومحتضر المنافع أريحي نبيل فـي معاوزة طوال

عزيز عزة فى غير فحش ذليل للذليل مـن الموالي

جعلت وساده إحدى يديه وتحت جمائه خشبات ضال

ورثت سلاحه وورثت ذودا وحزنا دائما أخرى الليالى

قوله : " أريحى " هو الذي يرتاح للمعروف أي يخف له ، ويقال : أخذت فلانا أريحية ، أي خفة وحركة لفعل المعروف . والمعاوز : الثياب التى يتبذل فيها الرجل ، وهي دون الثياب التي يتجمل بها ، واحدها معوز قال الشماخ فى نعت القوس :

إذا سقط الأنداء صينت وأشعرتحبيرًا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله : " فى معاوزة " فزاد الهاء، فإنما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث ، لأن كل جمع مؤنث، كما تقول فى جمع صيقل صياقل ، وكذلك جوارب وجوارية ، إلا أن أكثر الأعجمى يختص بالهاء وهو فى العربي جيد ، وفى العجمى أكثر

١ النقد الأدبي أصوله ومناهجه سيد قطب صـ ١٢١ وما بعدها دار الفكر العربي .

٢ الكامل جـ ١ صـ ٥ ٨ – ٥٩ – ٦٠ .

استعمال نحو المزاوجة ، فإن كان منسوبا كان الباب فيه إثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والأحامرة وقالوا : السبابجة لأنه قد اجتمع فيه النسب والعجمة.

وقوله : " تحت جمائه " يعنى شخصه ، والضال : السدر البرى وما كان من السدر على الأنهار فليس بضال ، ولكن يقال له : عبرى . قال ذو الرمة : " عبريا وضالا " .

وقوله : **** ورثت سلاحه وورثت ذودا ****

يصف قرب نسبه منه ، والذود: القطعة من الإبل ،وأكثر ما يستعمل ذلك فى الإناث ، ويجوز فى السائر ، ومنه قولهم : الذود إلى الذود إبل ، ثم قال :

**** وحزنا دائما أخرى الليالي ****

كما قال الأول – وغبط بميراث ورثه من أحد أهله :

يقول جزء – ولم يقل جللاً إنى تزوجت ناعما جذلًا

إن كنت أزننتنى بها كذباً جزء فلاقيت مثلها عجلًا

أغبط أن أرزأ الكرام وأنأورث ذودا شصائصا نبلًا

قوله : " ولم يقل جللا " أي صغيراً ، والجلل يكون للصغير ويكون للكبير ، ومن ذلك قوله :

**** كل شيء ما خلا الله جلل ****

أي صغير ، وقال لبيد فى الكبير :

وأرى أربد قد فارقنى ومن الأرزاء رزء ذو جلل

وقوله :" شصائصاً " ، يعني حقيرة دميمة . وزعم التوزى أن النبل من الأضداد ، يكون للجليل والحقير ، واحتج بهذا البيت الذي ذكرناه قال : يريد هاهنا الحقيرة .

وقوله : " أزننتنى " أي قرفتني ونسبتني إليه يقال : فلان بكذا وكذا أي يسمي به ، وينسب إليه ، قال امرؤ القيس بن حجر

كذبت لقد أصبي على المرء عرسه وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى

وفى معني قوله : " ورثت سلاحه " قول الشاعر :

يفرح الـوارث بالمـال إذا ورث المال ويبكي إن غضب

ومثله قول نعامة الفزارى : ** يا حبذا التراث لولا الذله **

فصار على نفس منهج التفسير اللغوي مع الشرح والاستشهاد بآيات الله والآبيات الشعرية . وقد يورد الآبيات ويذكر المناسبة ثم يستفيض فى شرح الآبيات فى صفحات كثيرة [١]

قال أبو العباس : وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم ، والقوم من بني ضبة فأغير فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، فركبوا فردها عليهم ، فقال المكعبر الضبي فى ذلك :

أبلغ طريفًا حيث شطت بها النوى فليس لدهر الطالبين فناء

كسالى إذا لاقيتهم غير منطق يلهى به المحروب وهو عناء

وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما فى بطون الحاملات رجاء

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ولو شئت قال المخبرون أساءوا

فهلا سعيتم سعى أسرة مالك وهل كفلائى فى الوفاء سواء

كأن دنانيرًا على قســـماتــهم وإن كان قد شف الوجوه لقاء

لهم أذرع باد نواشر لـــــحمها وبعض الرجال فى الحروب غثاء

قوله :" حيث شطت بها النوى " معنى شطت : تباعدت ، ويقال : أشط فلان فى الحكم إذا عدل عنه متباعداً قال ﷻ :﴿ ولا تشطط[٢] ﴾ .

---

١ –الكامل جـ ١ صـ ٦٩ – ٧٣ .

٢ – سورة ص الآية ٢٢ .

وقال الأحوص :

ألا يالقومى قد أشطت عواذلى ويزعمن أن أودى بحقى باطلى

ويلحيننى فى اللهو ألا أحبه وللهــو داع دائب غير غافل

والنوى : البعد ويقال : شطت بهم نية قذف ، أي رحلة بعيدة

قال الشاعر : ** وصحصحان قذف كالترس **

وليس بمأخوذ من " نأيت " فى اللفظ ، ولكنه مثله فى المعني وقوله :

**** فليس دهر الطالبين فناء ** يقول : الطالب فى إثر طلبته أبداً .**

- **ظـاهرة الاسـتطراد** : وقد يعمد فـى شرح حكمـة أو موعظـة بإسـهاب وإطالـة قال[1] أبو العباس : حدثت أن صبرة بن شيمان الحدانى دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا حي فعال ، ولسنا بحي مقال، ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم . فقال : صدقت .

وحدثت أن أبا بكر ﷺ ، ولى يزيد بن أبى سفيان ربعًا من أرباع الشام، فرقى المنبر فتكلم فأرتج عليه ، فاستأنف فأرتج عليه ، فقطع الخطبة ، فقال : سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عىّ بياناً ، وأنتم إلى أمير فعَّال أحوج منكم إلى أمير قوال . فبلغ كلامه عمرو بن العاص ، فقال : هن مخرجاتى من الشام ! استحساناً لكلامه

وقال عثمان بن عفان–رحمه الله– لعامر بن عبد قيس العنبري ورآه ظاهر الأعرابية : يا أعرابى ، أين ربك؟ فقال بالمرصاد !

---

١ الكامل جـ ١ صـ ٨٤ – ٨٧ .

وقال قائل لعلى بن أبى طالب –رحمه الله– : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فقال على : أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان [١]

وحدثت أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام ، فنظرا إلى الحسن البصرى ، فقال أحدهما لصاحبه : مل بنا إلى هذا الذي كأن سمته سمت المسيح فعدلا إليه، فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه ، وهو يقول: يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم ! فليت شعرى ما الذي ينتظرون ؟

ونظر الحسن إلى الناس فى مصلي البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد ، فقال الحسن : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده ليستبقوا إلى طاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، ولعمره لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسئ بإساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر .

قوله : " ترطيل شعر " إنما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل إذا كان فيه لين وتوضيع : رَجل رطل ، والذي يوزن به ويكال يقال له : رِطل ، بكسر الراء [٢] فهو ينساب من معنى إلي معنى ، ومن تفسير لغوي إلى تفسير قد يبعد به عن موطن الاستشهاد، والاسترسال كما هو معروف كان سمة المؤلفات آنذاك نظراً لتشعب معلومات المؤلفين ، وفيض معارفهم .

وكان الحسن يقول : اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها [٣]

قوله :" القنطرة " يعني هذه المعقودة المعروفة عند الناس ، والعرب تسمي كل أزج قنطرة ، قال طرفة بن العبد :

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفا حتى تشاد بقرمد

١ الكامل جـ ١ صـ ٨٤ .

٢ – الكامل جـ ١ صـ ٨٥ .

٣– الكامل جـ ١ صـ ٨٥ .

قوله :" حتى تشاد " يقول : تطلى ، وكل شيء طليت به البناء من جص أو جيار. وهو الكلس فهو المشيد يقال : دار مشيدة، وقصر مشيد، قال اللهﷻ: ﴿ ولو كنتم فى بروج مشيدة[1] ﴾ وقال الشماخ :

لا تحسبني وإن كنت امرأ غرراً كحية الماء بين الطين والشيد

وقال عدى بن زيد العبادى :

شاده مرمراً وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور

والمقرمد : المطلى أيضاً، فمن ثم قال : " حتى تشاد بقرمد " فى معني حتى تطلى ، ومن ذلك قول النابغة :

**** رابى المجسة بالعبير مقرمد ****

وقال الحسن : تلقى أحدهم أبيض بضا ، يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه ، ويقول : هأنذا فاعرفونى قد عرفناك ، فمقتك الله ، ومقتك الصالحون . قوله : " أبيض بضا " فالبض الرقيق اللون ، الذي يؤثر فيه كل شيء

وفى الحديث[2] أن معاوية قدم على عمر بن الخطاب رحمهما الله من الشام وهو أبض الناس ، فضرب عمر بيده على عضده ، فأقلع عن مثل الشراب أو مثل الشراك ، فقال : هذا والله لتشاغلك بالحمامات ، وذو الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك ! " فقد أورد الحدث التاريخى ولم يعقب عليه " [3]

وقال حميد بن ثور الهلالى :

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله :" يملخ فى الباطل ملخاً " يقول مراً سريعاً ، يقال بكرة ملوخ إذا كانت سهلة المر .

---

١ – سورة النساء الآية ٧٨ .

٢ الكامل جـ ١ صـ ٨٦ .

٣ موازنة بين البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد ، د وجيهة محمد المكاوى – بتصرف –

وقوله : " يضرب أصدريه وأزدريه " فإنما يقال ذلك للفارغ ، يقال : جاء فلان يضرب أصدريه وأزدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال : فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالخيلاء وقال عنترة

أحولى تنفض استك مذرويها لتقتلنى فهأ نذا عمارا

ولا واحد لهما ، ولو أفردت لقلت فى التثنية مذريان لأن ذوات الواو إذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت إلى الياء كما تقول فى ملهى : ملهيان وهو من لهوت وفى مغزى : مغزيان وهو من غزوت ، وإنما فعلت ذلك لأن فعله ترجع فيه الواو إلى الياء إذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فإذا أدخلت فيه الألف قلت : أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وإنما وجب هذا لانقلابها فى المضارع نحو يغزى ويستغزى ويغازى وإنما انقلبت لانكسار ما قبلها . فإن قال قائل : فمال بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحو : هما يتغازيان ويترجيان فإنما ذلك لأنهما فى الأصل : رجى يرجى وغازى يغازى ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء، والدليل على ذلك أن التاء إنما تلحقه على معناه فقولك : مذروان لا واحد له لما أعلمتك، وثبات الواو دليل على أن أحدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله[١].

وعلى هذا المنوال سار الجزءانْ الأولانْ للكاملْ يورد أمثله وأحاديثَ وأطرافاً من الكلام ... قد لا يكون بينها رابط ...

وقد صنف د / بدوى طبانه [٢] المبرد ضمن النقاد البيانيين الذين ينتصرون لجانب اللفظ على المعنى ، وإذا كان النقد هو فن دراسة النصوص الأدبية والمتميز بين الأساليب المختلفة وأداة التميز هو الذوق الأدبي الذى يميز

١ الكامل جـ ١ صـ ٨٧ .

٢ –دراسات فى نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ط ٥ مكتبة الأنجلو صـ٢٣٣.

بين نص ونص، وأسلوب وأسلوب، ولفظة ولفظة[١] فإن المبرد قد عرض لأساليب عدة ونصوصًا متنوعة .

ود / بدوى طبانه يقول إن المبرد كان ينتصر للقديم وشغف به وأعلى من قدره ، ويراه النموذج الذى يجب أن يحتذي ، والمثال الذى يجب أن يقتفى ، حتى إنه صُنف ضمن النقاد " المحافظين المتزمتين وعاب عليه شغفه الزائد بالقديم حتى إنه قال بإن ذلك سبب تخلفه عن ركب أوائل النقاد ومشاهيرهم .ويرجع ذلك إلى ثقافته المتشبعة بالثقافة العربية التى أعلى إطارها إذ هى معياره الحاكم الذى يقيس به كل فصاحة أو يحكم من خلاله برؤياه الأدبية . والمبرد على ولعه بالقديم لم يهمل الحديث، فا د طبانه يقول : إن ولعه بالقديم الجيد لم يدفعه لإغفال الجديد الجيد ، واغماطه ويعلق على منهج المبرد ... ويبدو المبرد فى رسمه هذا المنهج والتزامه فى ثوب المحافظين المتزمتين الذين يحاولون أن يصلوا جديد الأدب بقديمه ، وينظرون إلى هذا القديم على أنه الأصل الذي يحتذى، والصورة الجديرة بالمحاكاة والتقليد مع وجوب المحافظة على هذا الأصل والإشادة به ، وصرف العناية إلى حفظه ، وفهمه ، وصيانته ولولا ذلك الولوع بالقديم والشغف به لرأينا من مثله فى ثقافته الواسعة وعلمه الفضفاض آراء فى النقد وتذوق الأدب ، ترفعه إلى المنزلة الأولى بين النقاد .

وإذا كان المبرد واحداً من أعلام المحافظين من العلماء الذين يغالون بالقديم فإنه لم يكن من أولئك الجامدين المتعصبين الذي يمجدون القديم لأنه قديم، وينتقصون الجديد لا لعيب فيه وإنما لأن قائليه كانوا من معاصريهم [٢] ثم يضرب مثلا ورد فى الكامل من اختلاف موقف الأصمعي من موقف المبرد ، فالأصمعي استحسن بيتين وأثنى عليهما ؛ وحينما عرف أنهما لإسحاق غير

١ – المرجع السابق صـ ٢٣٤

٢ دراسات فى نقد الأدب العرب بدوى طبانه صـ ٢٣٤ .

حكمه وأبدل رأيه . يروى عن الأصمعي أنه لما أنشد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

هل إلى نظرة إليك سبيل يرو منها الصدى ويشف الغليل

إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب القليل

قال : هذا والله الديباج الخسروانى ، فلما قيل له : إنهما لليلتهما حكم عليهما بالتكليف والفساد . ولم يكن للحكم بفسادهما من علة سوي أن الأصمعي عرف أنهما لشاعر محدث ، ويؤيد ذلك حكمه بجودتهما قبل أن يعرف أنهما لإسحاق

ويعقب د / طبانة ان هذا لم يفعله المبرد بل حكم بالجودة أو الرداءة على أساس الإجادة ونحى الزمن جانباً ... يقول ألا ترى كيف يفضل قول عمارة بن عقيل على قرب عهده .

تبحثتم سخطي فغير بحثكم نخيلة نفس كان نصحاً ضميرها

ولن يلبث التخشين نفساً كريمة عريكتها أن يستمر مريرها

وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفواً غديرها[1]

فهذا كلام واضح ، وقول عذب وكذلك قوله أيضاً :

بنى دارم إن يفن عمرى فقد مضى حياتى لكم منى ثناء مخلد

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهداً وإن عدتم أثنيت والعود أحمد

فالمبرد في منتخباته الشعرية دال على ثقافته العربية الأصيلة وذهنه المتقد

---

١ – التخشين : إيغار الصدر ويستمر : يقوى ويشتد .

الخـــاتمـــة

إن الثقافة العربية شديدة التأثير فى متلقينيها ، سواء أكانوا عربًا أم أعاجم، والمبرد العربـي السليقة، والجنس ، والمنشأ ، شغف بالثقافة التليدة ، ونهم فى تحصيلها ؛ ثم فاض علمه فأودعه مؤلفات متعددة ، ويكأنه جمعها واستخلص الزبد فأودعه فى كامله .وقد نال كتاب الكامل شهرة واسعة إذ تبدت الثقافات المتنوعة وظهرت فيه عقلية مؤلفه المستنيرة

وقد غلبت على المبرد فيه نزعته اللغوية وعلمه اللغوي والصرفى اللذان بدايا واضحان في ثنايا كتابه فقد يورد الخبر فى أسطر قليلة ، ويعمد إلي تفسيره لغويا، وصرفيا ،ونحوياً، ويحشد الشواهد ، والأدلة في صفحات مطولة يهدف من ذلك أن يكون " هذا الكتاب بنفسه مكتفياً " وعن أن يرجع إلي أحد في تفسيره وعلي الرغم أنه سبق بالبيان والتبيين وعيون الأخبار .إلا أنه لامس المقاربة فى النصوص فى منهجية وشرح وإن غاب عنها الإسم حيث عمد إلى شرح الفكرة بعرض ما يقاربها ويضاهيها .

وقد بدت ثقافة المؤلف العربية وسعة اطلاعه تطل علينا جلية في أثناء مطالعة أعماله ، لتنوع مصادره؛ ما بين مشافهة ومواكبة الحدث ، والاطلاع علي مؤلفات السالفين والأخذ منها ، وتنوع مادته ما بين شعر ونثر وقصة أو رواية حدث ، وغزارة المادة المبثوثة في ثنايا هذه المؤلفات ، واختلاف أماكنها مع تناسبها في كل مكان أثبتت فيه ، فقد تأتي المادة شعراً أو نثراً مثبته مرة واحدة أو متشعبة ومكررة ، ونلاحظ وجود ظاهرة التكرار ، فقد يكرر الخبر فى الكتاب الواحد مرة وأثنان وثلاثة ، وأري أن ذلك يرجع لأسباب عدة منها : إطالة مدة التأليف فإن أحدهم لم يكن يجلس علي مؤلفه فلا يقوم حتى يفرغ ... بل أن فترة التأليف قد تمتد أياماً وليالي وقد يلحق المؤلف فيها النسيان فيورد الخبر ناسيًا أنه سبق وأثبته ، أو قد يري أن هذا الموضع له أنسب وبه أليق فيثبته؛ ولا يعود فيحذفه من الموضع السابق . أو يرجع للاستملاء فقد يسهو على المملى

والمستملى أنهما ذكرا هذا الخبر قبلاً ، ويلاحظ حسه الأدبي العالي فلأبيات المستحسنة تنضوى على سمات الحسن ،

وقد أكثر من ذكر الخطابة وضرب أمثلة لها[١] ،منها خطبة عمر بن الخطاب فى توليه للخلافة ، وقد تناول رسالته إلى أبي موسى الأشعرى فى توليه للقضاء بالشرح والتفصيل إذ أسند القول لنفسه " قال أبو العباس : قوله أس بين الناس " ثم أخذ يشرح المعنى ويستشهد على ما يقول بأقوال الشعراء كالخنساء ، ثم أخذ يشرح فقرة فقرة ويشفعها بما يؤيد كلامه؛ من الشعر، والحديث الشريف، والقرآن الكريم ؛ بل والحكمة أيضًا رَهبوتى خير لك من رحموتى أى ترهب خير لك من أن ترحم [٢]

ثم كرر قال أبو العباس: وأنشدونا ... ثم عهد إلى كلمة " ثواب بتصاريفها ، فقال : وأما قوله " ثواب " بتصاريفها فشتقاقه من ثاب يثوب إذا رجع وتأويله ما يثوب إليك مكافأة الله وفضله وذكر البيان والبلاغة . والكتاب له قيمته ضمن كتب التراث وذلك لما حواه من سمات فريده ، وخصائص مميزة .

وعلي الرغم من تواجد خيوط قوية ضمت كتب التراث جميعاً ووضعتها في مكانها اللائق حتى قيل إن دواوين الأدب أربع البيان والتبيين ، وأدب الكاتب، الكامل ، والنوادر لأبي علي القالي وغيرها تبع لها ... إلا أن ذلك لم يمنع التنوع فيما بينها . وذلك عائد لاختلاف شخصيات المؤلفين، ومناصبهم، وظروف حياتهم، والأحداث التي شهدوها وقربهم من الأحداث الجسام المؤثرة في

١ فقد أورد خطبًا لأميرى المؤمنين عمر بن الخطابج ١ صـ ، وعلى بن أبي طالب ٢٩٨، وأورد خطبًا للقواد

٢ الكامل ج١، صـ ١٧

الأمـة أو بعـدهم عنهـا .. كـل ذلـك أعطـى مؤلفاتهمـا طعومـاً مختلفـة ومـذاقات متعددة .[١]

فتوجهـه الأدبـي ،ولمحاتـه ،وأحكامـه النقديـة ؛ دالـة علـي ثقافتـه الواسـعة وغزارة مفرداتـه اللغويـة ، وقد يعنـون مادتـه مكتفيـاً بكلمـة " بـاب أخـر " وإسـباغ عناوين متعددة ومتنوعة ، ولكن من الممكن جمعها جميعا تحت عنوان واحد

فثقافته اللغوية منحته متسعا يتحدث فيه عن الجانب الأدبي باسهاب مثل نظائره ، وقد ساهم بجهد لا ينكر وإن كان النظرة اللغوية ، والرؤية البلاغية ، والثقافة النحوية، أظلوا ومضاته المعروضة، وآراءه النقدية الثاقبة ، وقد اتضح في مؤلفه سمتان رئيستان ... المادة التاريخية.. كثيرة في مؤلفه ، غلبة الجانب اللغوي والصرفى علي مادته تفسيراً وتوضيحاً . كذلك ثقافته الأسلوبية تبدوا واضحة ، فالجزء الثالث اقتصر على أخبار أفراد وجماعات مع الإشارة لبعض القضايا والأحوال البلاغية ، والأخبار لا تأتي على وتيرة واحدة فقد تكون منسوبة لصدر الإسلام ثم تنسب للعصر الأموي (فقد أورد خطبة لأعرابي البادية ، ثم خطبة عمر بن عبد العزيز ثم خبر عامر بن الطفيل [٢] وكان عامر ققد قدم إلى رسول الله ومعه أربد ، فقال لأربد : أنا أشاغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائي، فدعاه رسول الله إلى الإسلام على أن يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها منى اليوم !؟ ولكن إن شئت فلك المدر ولي الوبر ، أو لي المدر ولك لوبر ، فأعرض عنه رسول الله ، فقال : اجعل لي هذا الأمر بعدك ، فأعلمه النبي أنَّ ذلك ليس بكائن ، قال: فأبشر بخيل أّ،ولها عندك وأخرها عندى ، فقال رسول الله يأبى الله ذلك وابنا قيله " يعنى الأوس واخزرج .. ثم أورد

١ موازنة بين البيان والتبيين والكامل ، د وجيهة المكاوى – بتصرف–

٢ الكامل ج ٣ ، صـ ٩٠

استياء الصحابة من طفيل إذ قال سعد بن عبادة " يارسول الله ؛ علام يسحب هذا الأعرابي لسانه عليك دعنى أقتله ..ويروى أن عامرا قال للنبي: لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء ، فلما قال ، قال رسول الله " اللهم أكفينهما..وتروى قيس أنه قال " اللهم إن لم تهد عامرًا فاكفينيه ""....ثم استمر فى استكمال الخبر الذى شمل اشعارًا ولمحات لغوية وممضات أسلوبية موضحة [١]

ونلاحظ أن أسلوبه؛ انبثق عن شخصيته التى استقت معارفها من منابع متعددة وعلماء أفذاذ، فحمل أسلوبه سماته الشخصية وألقى الضوء علي الأجواء الاجتماعية التي شب في ظلها ، وقد تأثر بقضايا عصره المتنوعة، وعرض لها مؤيدًا أو معارضًا ، أو عارضًا منوهًا عليها كقضايا فكرية ، ولإنه لغوي ذو ثقافة تليدة نجد ظلالاً لعلماء اللغة والنقاد ؛ كذلك ألقى الضوء على منهج النحاة والآراء الفقهية، واللغوية والبلاغية ، ويبقى كتاب الكامل يجد فيه كل باغ بغيته من أدب ونقد ، تاريخ ولغة.

من نتائج البحث

إن البيئة بما تحويه من معالم طبيعية ، وأنشطة بشرية ، ورؤى عقلية تصبغ قاطنيها بصبغتها ، وتساهم لحد كبير في تحديد وجهتهم وتعيين دربهم الذى يسلكوه، و الغريزة أو الصفات الشخصية هى المانحة للعمل التفرد والتميز إذ يكون مرأة عاكسة لما قر في وجدان وفكر صاحبه ، ولإن المبرد لغوي فتوجهه نحوي لأنه رجل يعنى باللسانيات ، كذلك العصر بأحداثه السياسية ،وتوليفاته الاجتماعية ، وتوجهاته السياسية شكل مدادًا لا ينضب ومادة ثمينة مدته بما يحتاج من أدلة وبراهين لما يريد ، لذا اتسم الكتاب بحشد طرائف ومعارف ، آداب وفنون غلب عليها الاستطراد والتشعب وهو سمة من سمات

١ الكامل صـ ٢٧-٢٨

التأليف في ذلك العصر، إذ اهتم بالموضوعات المطروحة ، وزاد عليها قضايا أخرى ربما يكون تعرض لها نقاد آخرون لمامًا وليس بنفس القوة والوضوح.،والكتاب قطعة من الكاتب عكست ثقافته ونهجه في التأليف ، وطريقته في الإثبات والاستشهاد. غلبت السمة الشخصية للمبرد من الجدية والموضوعية وهما من خواص تكوينه . وظهر تمكنه من موضوعاته من اختيار الأمثلة والشواهد الموضحة لرؤيته؛ واتجاهه وتوجهه.مما يدل على ثقافته العربية المستقاة من الشعر والنثر خاصة العصور التليدة ثم توج ذلك بوعي القرآن الكريم والحديث الشريف الذى يحتكم إليه فى عرض قضاياه وإبداء آرائه .

من المصادر والمراجـــــــع

١.
٢. الكامل في اللغة والتاريخ والأدب ، للمبرد، دار الفكر العربي ت محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ج
٣. أصول النقد الأدبي د / طه أبو كريشه ، لونجمان للطباعة والنشر
٤. أصول فى الأدب والنقد د/رأفت حليم سيف ، مكتبة سعيد رأفت ١٩٨١ .
٥. – البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ، ط ٤مكتبة الانجلو المصرية
٦. تاريخ النقد الأدبي عن العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجرى د / إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٣ .
٧. سوانح وآراء فى الأدب والأدباء د / احمد بدوى طبانه الشركة المصرية العالمية للطباعة والنشر ١٩٩٧
٨. دراسات فى نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث د /احمد بدوى طبانه مكتبة الأنجلو المصرية ط٥
٩. دراسات في الأدب العربي العصر العباسي ، دمحمد زغلول سلام منشأة المعارف
١٠.في النص وقراءة النص د/ محمد أحمد العزب
١١.الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف دار المعارف ط ٦ .
١٢.قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكى العشماوى الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٣ سنه ١٩٨٧م .
١٣. البداية والنهاية ، ابن كثير، طبعة دار التأليف الإسلامية .
١٤.الجاحظ معلم العقل والأدب – شفيق جبري .
١٥.معجم الشعراء للمرزباني تحقيق فاروق أسليم –عبدالستار فراج ط دار صادر ٢٠٠٥

١٦.النقد الأدبي أصوله ومناهجه سيد قطب ط –دار الفكر العربي
١٧.مروج الذهب للمسعودي
١٨.أرسطو طاليس في الشعر ط الهيئة العامة للكتاب .
١٩.عن كتاب الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي – مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٩٩٣ م
٢٠.مسند الإمام أحمد
٢١.تهذيب اللغة للأزهري ط دار الكتب العلمية .
٢٢.صحيح مسلم بشرح النووي .
٢٣.سنن ابن ماجه – كتاب الديات
٢٤.مسند الشهاب المسمى (الشهاب من الأمثال والمواعظ والآداب) ط دار الكتب العلمية
٢٥.فصول في الأدب والنقد د/ رأفت سليم – مكتبة سعيد رأفت ١٩٨١ م .

الفـــــــــــــهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد : المبرد ثقافته وآثاره	٢١٥
المبحث الأول : قضايا علوم البلاغة فى كتاب الكامل	٢٢٢
المبحث الثاني : قضايا النقد الأدبي فى كتاب الكامل	٢٢٩
المبحث الثالث : منهج المبرد فى مقاربة النص الأدبي	٢٣٥
الخاتمة : وتشمل ملخص البحث، أهم المصادر والمراجع، الفهرس	٢٧٣

والله الموفق .